مفاهيم خلقية
في فكر الإمام الحسن عليه السلام

السيد مهدي الجابري الموسوي

مركز الدليل العقائدي

مفاهيم خلقية في فكر الإمام الحسن عليه السلام

السيد مهدي الجابري الموسوي

إصدارات

مركز الدليل العقائدي

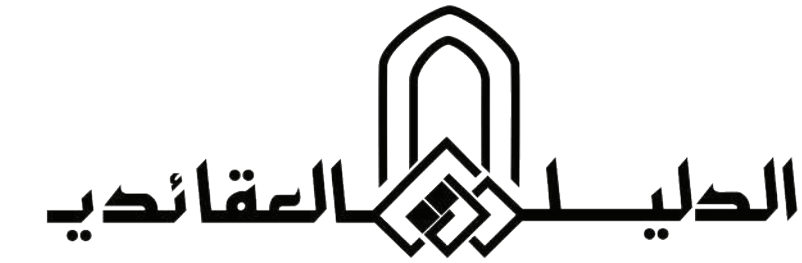

مركز بحثي متخصص في الرد على شبهات المخالفين والمشككين

الكتاب: مفاهيم خلقية في فكر الإمام الحسن عليه السلام
التأليف: السيد مهدي عبد الإله الجابري
التدقيق اللغوي: الشيخ تحسين غازي البلداوي
الناشر: مركز الدليل العقائدي
الإخراج الفني: صفاء أحمد الشمري
تصميم الغلاف: محمد مهدي الجابري
سنة الطبع: ١٤٤٣ هـ / ٢٠٢٢ م

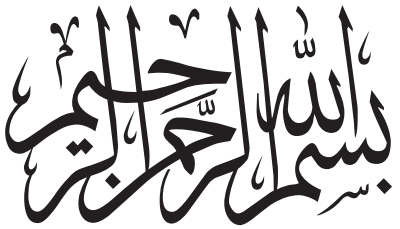
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيد المرسلين، وحبيب إله العالمين، المبعوث رحمةً للعالمين، العبد المؤيَّد والرسول المسدَّد، والمصطفى الأمجد، أبي القاسم محمّد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، الغرِّ الميامين، وبعـــدُ..

لمّا جعل الله سبحانه وتعالى التأسّي بنبيه بابًا لنيل رضوانه وطريقًا إلى جِنانه، بقوله عزّ من قائل: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾[1]، وجعل اتّباع رسوله سببًا لمحبته، ووسيلة إلى رحمته بقوله سبحانه: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[2]، وبما أن عملية البناء الحضاري للإنسان تقتضي التوجيه والهداية، وأن الهداية -بلا شك- تستلزم النجاة، وهي الغاية المنشودة للإنسان المسلم، نجد أنّ رسول الله ﷺ كان يحرص أشد الحرص على هداية الناس

(١) الأحزاب: ٢١.
(٢) آل عمران: ٣١.

إلى سواء السبيل، فقد دعا ﷺ إلى التحلّي بمكارم الأَخلاق كالتواضع والجود والأَمانة والحياء والوفاء... وما إلى ذلك، وقد نهى عن مساوئ الأَخلاق كالبخل والحرص والغدر والخيانة والغرور والكذب والحسد والغيبة.

فورد عنه ﷺ التأكيدُ على الجانب الخُلُقي، فقال: «من سعادة المرء حسن الخُلق، ومن شقاوته سوء الخُلق»[1]، وقد ذكر أيضًا أثر الخُلق الحسن على الذنوب، فقال: «إن الخلق الحسن يذيب الذنوب، كما تذيب الشمس الجمد؛ وإن الخلق السيء يفسد العمل، كما يفسد الخلّ العسل»[2]، وفي الجانب الاجتماعي، قال: «خياركم أحسنكم أخلاقًا، الذين يألفون ويُؤلفون»[3]، وقال ﷺ: «أفضلكم إيمانًا أحسنكم أخلاقًا»[4].

ولمّا قال الله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ**﴾[5] وكان قول النبي ﷺ بهذه الآية قائمًا مقام قول الله تعالى، وجب على الأمة أن تأخذ بجميع ما آتاها به، وتنتهي عن جميع ما نهاها عنه، ومن ذلك ما صرّح به ﷺ في وصيته لأمته بالتمسك بالثقلين كتاب الله وعترته أهل بيته عليهم السلام لعدم الافتراق بينهما، فهم لا يخالفون الكتاب في وقت من الأوقات، ولا يفارقونه، ولقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ**

(١) مستدرك الوسائل، ج٨، ص٤٤٧-٤٤٨.
(٢) المصدر، ص٤٤٥.
(٣) تحف العقول، ص٣٨.
(٤) المصدر، ص٣٨.
(٥) الحشر: ٧.

﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[١]، فكانت طاعة الإمام مساوية لطاعة الرسول، حيث جعل الله تعالى طاعتهما مشتركة واحدة، لأن العطف يقتضي التساوي في العامل، فيجب أن يكون الإمام معصومًا مثل الرسول، وفي حديثٍ عنه ﷺ أنه قال: «إنّما مثَل أهل بيتي فيكم كمثَل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق، وإنّما مثَل أهل بيتي فيكم مثَل باب حِطّة في بني إسرائيل من دخله غُفر له»[٢].

وبناء على ذلك، فإن قولهم عليهم السلام، هو قول رسول الله ﷺ، وقول الرسول هو قول الله عزّ وجلّ.

هذا، والجدير بالذكر أنّ مبحث أخلاق أهل البيت عليهم السلام من المباحث الاعتقاديّة والعلميّة معًا.. وعليه، يلزم الاعتقاد بأنّ النبيّ ﷺ، والعترة المطهرة عليهم السلام هم أفضل الخلق على الإطلاق في مكارم الأخلاق، وأنّهم الأفضل في محاسن الصفات، وفضائل الأعمال، ومراتب الكمال.. هذا من جانب العقيدة.

وأمّا الجانب العملي؛ فينبغي السعي في الاقتداء بهم عليهم السلام، والتأسّي بجميعهم في الأخلاق الكريمة، والمكارم الفاضلة؛ لأنّهم -وليس سواهم- القدوة الصالحة، والأُسوة الحقّ من الله للخلق، والطاهرون المطهَّرون من كلّ رجسٍ ورذيلة، الأمر الذي حدا بي إلى تأليف هذا الكتاب، حيث تناولت فيه جملة من أحاديث الإمام الهمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، مبيّنًا معناها ومتناولًا إياها بالشرح والإيضاح،

(١) النساء:٥٩.

(٢) المراجعات، للسيد عبد الحسين شرف الدين، ص٢٣ المراجعة الثامنة.

وأسميته مفاهيمُ خُلقية[1] في فكر الإمام الحسن عليه السلام.

فجاء منهج البحث في شرح الأحاديث وإيضاحها على النحو الآتي:

- **الحديث الأول: الحث على التفكر**

- تقوى الله وإدامة التفكر.
- مفهوم التقوى.
- التقوى على لسان المعصومين ع .
- التفكر لغةً واصطلاحًا.
- الحث على التفكر في الآيات والأخبار.
- الحث على التفكر في سياق ضرب الأمثال في آيات القرآن الكريم.
- الحث على التفكر في سياق حوار الأنبياء مع أقوامهم ففي آيات القرآن الكريم.
- هل التقوى هي الباعث على التفكر أو العكس.
- خلاصة الكلام.

- **الحديث الثاني: السهو والغفلة.**

- السهو والغفلة عن الآخر.
- مفهوم السهو.
- الفرق بين السهو في الشيء والسهو عنه.

---

(١) الخلق بالضم: السلوك وما يتبع ذلك، وهي مجموعة صفات وحالات نفسية وفكرية وسلوكية تتسم بفضائل الصفات من الدين والأدب والنزاهة والأمانة والصدق وصلة الرحم والعدل وحسن الظَّن، والثقة بالنفس والحياء والبعد عن المركزية والبعد عن الوشاية والحسد وتتبع العورات وتجنب السب والشتم والقذف والقوة بظلم ما والجبروت.

- السهو في الصلاة والسهو عنها.
- مفهوم الغفلة.
- الفرق بين السهو والغفلة.
- الفرق بين الغفلة والنسيان.
- الغفلة في القرآن.
- خلاصة الكلام.

● **الحديث الثالث: شكر النعمة وكفرانها**

- النعمة لغةً واصطلاحًا.
- المحنة لغةً واصطلاحًا.
- مفهوم الشكر.
- نماذج من القرآن الكريم على شكر الشاكرين لأنعم الله.
- مفهوم الكفر.
- نماذج من القرآن الكريم على الكفر بأنعم الله.
- القرية التي كفرت بنعم الله.
- قارون وكفره بالنعم.
- سبأ وكفرهم بالنعم.
- خلاصة الكلام.

● **الحديث الرابع: العفة والحرص الذميم.**

- العفة لغةً واصطلاحًا.
- أنواع العفة.

- عفة البطن.
- عفة الفرج.
- عفة الحواس.
- عفة النفس.
- عفة الجوانح.
- الحرص لغةً واصطلاحًا.
- أنواع الحرص.
- الحرص على المال.
- الحرص على الشرف.
- خلاصة الكلام.

● **الحديث الخامس: البخل وآثاره السلبية.**

- البخل لغةً واصطلاحًا.
- ألفاظ ذات صلة.
- الشح.
- الإمساك.
- القتر.
- الضنة.
- الهلع.
- المنع.
- أصناف البخل وصوره.
- البخل بالمال.

-البخل بغير المال.
-الآيات الواردة في البخل.
-بواعث البخل.
-الجهل.
-سوء الظن بالله.
-الخوف على الأبناء.
-الخوف من الفقر.
-بيان كون البخل جامعًا للمساوئ والعيوب.
-بيان كون البخل قاطعًا للمودات من القلوب.
-خلاصة الكلام.

آملًا من الله تعالى التوفيق والسداد، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

مهدي الموسوي الجابري

الأول من شهر شعبان المعظم سنة ١٤٤٣هـ

الحديث الأول

الحث على التفكر

تقوى الله وإدامة التفكر

ومن كلام له عليه السلام في تقوى الله وإدامة التفكر، قال: «أوصيكم بتقوى الله، وإدامة التفكر، فإن التفكر أبو كل خير وأمه».

الشرح:

إن الأساس الذي تدور عليه سعادة العبد في الدنيا والآخرة هو تقوى الله سبحانه وتعالى؛ إذ بها ينال رفيع المقامات وجليل المنازل وخير المناقب وشريف المواهب، وهذا المعنى جاء في ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله: «من رُزق تقىً فقد رُزق خير الدنيا والآخرة»[1]، فهذا النص يقرر أن التقوى من أعظم النعم، وهي التدين الحقيقي ومنبع الصفات الخُلقية النبيلة، ومن دونها لا يمكن الفوز بالآخرة، وقد وصفها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «التقى رئيس الأخلاق»[2]، وهذا كله مقرر في كتاب الله عز وجل؛ قال الله سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا

(١) ميزان الحكمة، ٤: ٣٦٢٤.
(٢) بحار الأنوار، ٦٧: ٢٨٤.

﴿وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(١).

فعلى العبد الحذَر من الإخلال بهذا المعيار وانقلاب الموازين عنده؛ فإن أساس الرفعة والشرف وعلوّ الفضيلة والمنقبة هو تقوى الله عز وجل.

وإن وصية الإمام الحسن عليه السلام لشيعته بتقوى الله لهي وصيةٌ عظيمة، جمعت حقوق الله وحقوق الخلق، وهي وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ الله﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَاتَّقُواْ الله الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(٣)، وهذا أمرٌ منه تعالى بأنْ تُتقى جميع معاصيه، وتُجتنب جميع محارمه؛ لأنه إليه الرجوع في الوقت الذي لا يملك أحدٌ فيه الضرر والنفع سواه، وهو يوم القيامة، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته (٤).

وقال عز وجل: ﴿وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾(٥)، فما معنى التقوى؟

(١) سورة الحجرات: آية ١٣.
(٢) سورة النساء: آية ١٣١.
(٣) سورة المائدة: آية ٩٦.
(٤) زبدة التفاسير، فتح الله الكاشاني، ٢: ٣٢٧.
(٥) سورة آل عمران: آية ١٣١.

مفهوم التقوى

التقوى مشتقة من وقى، وهو بمعنى الحفظ والصيانة والمحافظة على الشيء. والوقاية: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره. يقال: وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاء. قال تعالى: ﴿**فَوَقَاهُمُ اللهِ**﴾[١]، وقال تعالى: ﴿**وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِن وَاقٍ**﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿**مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ**﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿**قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**﴾[٥] والتقوى: جعل النفس في وقاية مما يخاف. والخوف تارة يسمى تقوى، وتارة التقوى تسمى خوفًا، حسب تسمية مقتضي الشيء بمقتضيه، والمقتضى بمقتضاه[٦].

إذن التقوى لغة تعني الحذر، فتقوى الله تعني الحذر والخوف من الله، والحذر من الله يعني اتباع ما يُرضيه واجتناب ما يُسخطه، وهذه هي التقوى حسب المرتكزات الشرعية. فالتقوى تعني الإتيان بما يصلح الإنسان بالالتزام بأوامر الله، والامتناع عما يضر الإنسان بالانتهاء عن نواهيه؛ فإن طاعة الإنسان لله عز ذكره من حيث الأوامر تساعده على الانتهاء عن النواهي، والعكس كذلك.

---

(١) سورة الإنسان: آية ١١.
(٢) سورة الدخان: آية ٥٦.
(٣) سورة الرعد: آية ٣٤.
(٤) سورة الرعد: آية ٣٧.
(٥) سورة التحريم: آية ٦.
(٦) ينظر: المفردات في غريب القرآن - للراغب الأصفهاني - ٨٨١.

التقوى على لسان المعصومين عليهم السلام

اعلم أن التقوى مترتبة على الإيمان بالله سبحانه وباليوم الآخر، وهذا المعنى جاء واضحًا في الآية الكريمة: ﴿**الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞ والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾[1]. وقد عني الإسلام بهذا المفهوم عناية ملحوظة وفي عدة مجالات؛ وقد أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيان هذا المفهوم لما قرأ الآية: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾[2] قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، وشدائد يوم القيامة**»[3].

وجاء تفسير التقوى في قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل».

وعنه أيضًا عليه السلام قوله: «المتقي من اتقى الذنوب»[4]، وعنه عليه السلام: «عند حضور الشهوات واللذات يتبين ورع الأتقياء»[5]، وعنه أيضًا عليه السلام: «رأس التقوى ترك الشهوة»[6].

---

(١) سورة البقرة: ١ – ٣.
(٢) سورة الطلاق: آية ٢ – ٣.
(٣) بحار الأنوار، ٦٧: ٢٨١.
(٤) ميزان الحكمة – للريشهري – ٤: ٣٦٣٨.
(٥) مستدرك الوسائل – للنوري – ١١: ٣٤٦.
(٦) المصدر نفسه، ١١: ٣٤٤.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إن أهل التقوى هم الأغنياء، أغناهم القليل من الدنيا فمؤونتهم يسيرة»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام لما سئل عن تفسير التقوى، فقال: «أن لا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك»[٢].

وعنه أيضًا عليه السلام: «من أخرجه الله من ذل المعاصي إلى عز التقوى، أغناه الله بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا بشر»[٣].

فحقيقة التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين من يخافه ويحذره وقايةً يتقي منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين غضب الله وسخطه وقاية من الأقوال والأفعال تقيةً من ذلك. ويدخل في التقوى الكاملة فعل الواجبات وترك المحرمات والشبهات وفعل المستحبات وترك المكروهات، وذلك أعلى درجات التقوى.

ومن هنا تبرز قيمة إيصاء الإمام الحسن عليه السلام شيعته بتقوى الله عز وجل بقوله: «أوصيكم بتقوى الله...» لترتب التقوى على الإيمان بالله سبحانه وباليوم الآخر، ووقايتها لمن اتصف بها من شبهات الدنيا وغمرات الموت وشدائد يوم القيامة، ولكونها باعثة على مخافة الله عز وجل وعلى العمل بما أنزل على النبي المرسل صلى الله عليه وآله وسلم ولأنها تبعث على القناعة، وتمنع الغفلة عن الاستعداد ليوم الرحيل، فضلًا عن وقايتها العبد من اقتراف الذنوب وردعها عن اتباع الشهوات، وبكلمة جامعة

(١) بحار الأنوار، ٧٥: ١٦٦.
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ٦٧: ٢٨٥.
(٣) المصدر نفسه، ٦٦: ٤٠٦.

يصفها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «التُّقى رئيس الأخلاق»[١].

هذا كله في ما يخص مفهوم التقوى، ثم يقول الإمام الحسن عليه السلام بعد ذلك: «... وإدامة التفكر...».

وهنا قد تثار عدة تساؤلات قيِّمة، وهي كالآتي: هل التقوى هي الباعث على التفكر أو العكس؟

وإذا كان الباعث على تقوى الله عز وجل هو التفكر فهل هو مطلق التفكر أو التفكر بحدودٍ قد حُددت من قِبل الشريعة الغراء؟ ومتى تأتي وظيفة التفكر؟ بعد معرفة الله سبحانه وتعالى أو أنه هو الطريق الموصل إلى معرفة الله عز وجل؟.

وقبل الإجابة على هذه التساؤلات لابد لنا من بيان معنى التفكر لغةً واصطلاحًا، ثم تأتي الإجابة على ذلك تباعًا.

التفكر لغةً واصطلاحًا:

التفكر لغة:

التفكر مأخوذ من -فكر- التي تدل -كما يقول ابن فارس-على تردد القلب في الشيء، يقال: تفكر إذا ردد قلبه معتبرًا، ولفظ التفكر مصدر لتفكر. وجاء في لسان العرب: الفكر والتأمل وإعمال الخاطر في الشيء.

وقال بعض المحققين: إن الأصل الواحد في المادة هو تصرف

(١) المصدر نفسه، ٦٧: ٢٨٤.

القلب وتأمل منه بالنظر إلى مقدماتٍ ودلائل ليهتدي بها إلى مجهولٍ مطلوب. وقريب منه ما يقول السبزواري: الفكر حركة إلى المبادئ ومن المبادئ إلى المراد[١].

ولعلك تسأل عن الفرق بين التفكر والتدبُّر، والجواب أن الفرق هو أن الأخير يعني تصرف القلب بالنظر في العواقب، والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل.

وربما تسأل ثانيًا عن الفرق بين النظر والتأمل، والجواب أن الفرق بينهما هو: أن التأمل هو النظر المؤمل به معرفة ما يطلب، ولا يكون إلا في طول مدة، فكل تأمل نظر، وليس كل نظر تأملًا.

وأصل النظر: المقابلة، فالنظر بالبصر هو إقبال نحو المبصر، والنظر بالقلب هو إقبال بالفكر نحو المفكَّر فيه، والنظر بالأمل هو إقبالٌ نحو المأمول.

وإذا قُرن النظر بالقلب فهو الفكر في أحوال ما ينظر فيه، وإذا قُرن بالبصر كان المراد به تقليب الحدقة نحو ما يلتمس رؤيته مع سلامة الحاسة[٢].

ومطلق التفكر كما في قوله سبحانه: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[٣] يراد به جولان النظر القلبي في موضوع معين ماديًّا كان أو معنويًّا؛ ليصل إلى ما هو مطلوب له،

(١) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن - للمصطفوي - ٩: ١٢٦.
(٢) ينظر: الفروق اللغوية - لابن هلال العسكري -، ٧٤ - ٧٥ بتصرف.
(٣) سورة النحل: آية ٤٤.

ويهتدي إليه.

فالنتيجة المطلوبة الحقة في أي موضوع: إنما تتحصل بالتفكر، حتى أن نزول الآيات والاستنتاج منها متوقفٌ على التفكر الدقيق، قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾[١]، ثم النظر بالبصر، وهو يتوقف على قوة الباصرة وانتفاء الموانع من الإحساس، وكذلك النظر بالقلب وجولانه يحتاج إلى نورانية في البصيرة ووجود قوة الإدراك فيه، وانتفاء الموانع والحجب من تعصبٍ وأغراض نفسانية وأمراض قلبية وكدورات باطنية، فالتفكر تختلف مراتبه على حسب مراتب البصائر شدة وضعفًا، إلى أن يصل إلى مرتبة يعادل التفكر في ساعة عبادة سنوات[٢].

ومن جميع ما تقدم ندرك أن التفكر عملٌ قلبي مستمر، مناطه العقل؛ لقوله عز وجل: ﴿**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[٣]، فالتفكر عملية تمارس بالقلب والعقل، وتشترك فيها الحواس، ولا تقصد بذاتها، وإنما بما يحصِّله المرء منها، وهو معرفة الحقائق الباعثة على العمل والطاعة، ولذلك فسر الشيخ الطوسي رحمه الله قوله تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[٤] بأن في هذه الآية دلالة على أن الله تعالى أراد من جميعهم التفكر والنظر المؤدي إلى المعرفة[٥].

---

(١) سورة البقرة: آية ٢١٩.
(٢) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن، ٩: ١٢٧.
(٣) سورة آل عمران: آية ١٩١.
(٤) سورة النحل: آية ٤٤.
(٥) مجمع البيان، ٦: ١٥٩.

فالتفكر مآله الطاعة والتسليم والانقياد لله رب العالمين، وإلا فلا فائدة منه.

التفكر اصطلاحًا

والتفكر اصطلاحًا: هو سير الباطن من المبادئ إلى المقاصد، والمبادئ هي آيات الآفاق والأنفس، والمقصد: هو الوصول إلى معرفة موجدها ومبدعها والعلم بقدرته القاهرة وعظمته الباهرة، ولا يمكن لأحد أن يترقى من حضيض النقصان إلى أوج الكمال إلا بهذا السير، وهو مفتاح الأسرار ومشكاة الأنوار، ومنشأ الاعتبار ومبدأ الاستبصار، وشبكة المعارف الحقيقية ومصيدة الحقائق اليقينية، وهو أجنحة النفس للطيران إلى وكرها القدسي، ومطية الروح للمسافرة إلى وطنها الأصلي، وبه تنكشف ظلمة الجهل وأستاره، وتنجلي أنوار العلم وأسراره، ولذا ورد عليه الحث والمدح في الآيات والأخبار[1].

الحث على التفكر في الآيات والأخبار

الحث على التفكر في الآيات:

قال سبحانه: ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ الله السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ الله مِن شَيْءٍ**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿**فَاعْتَبِرُوا**

(١) جامع السعادات - للنراقي - ١: ١٦١.
(٢) سورة الروم: آية ٨.
(٣) سورة الأعراف: آية ١٨٥.

يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٥].

الحث على التفكر في الأخبار:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «التفكر حياة قلب البصير»[٦]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فكرة ساعة خير من عبادة سنة، ولا ينال منزلة التفكر إلا من خصه الله عز وجل بنور التوحيد والمعرفة»[٧]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل العبادة إدمان التفكر في الله وفي قدرته»[٨]، والمراد من التفكر في الله في قوله صلى الله عليه وآله وسلم هو التفكر في قدرته سبحانه وتعالى وفي صنعه وعجائب أفعاله وفي مخلوقاته وغرائب آثاره ومبدعاته، لا التفكر في ذاته عز وجل، لتوارد الأخبار في المنع عنه، معللًا بأن التفكر في ذاته سبحانه يورث الحيرة والدهشة واضطراب العقل.

---

(١) سورة الحشر: آية ٢.
(٢) سورة العنكبوت: آية ٢٠.
(٣) سورة آل عمران: آية ١٩٠.
(٤) سورة الذاريات: آية ٢٠ - ٢١.
(٥) سورة آل عمران: آية ١٩١.
(٦) وسائل الشيعة، ٦: ١٧١.
(٧) بحار الأنوار، ٦٨: ٣٢٦.
(٨) جامع السعادات، ١: ١٦١، «روى هذه الأحاديث في الكافي في (باب التفكر) عن أبي عبد الله عليه السلام» من هامش الكتاب.

الحث على التفكر في سياق ضرب الأمثال في آيات القران الكريم

ورد لفظ التفكر في غير موضع من آيات القرآن الكريم، منها:

الحث على التفكر في سياق ضرب الأمثال، والمعلوم أن ضرب المثل يعد من الوسائل الاستدلالية والبرهانية، فاستعمله القرآن الكريم لتقرير الحقائق الدينية، لذلك نجد في بعض الآيات الشريفة التي ضرب الله سبحانه فيها الأمثال مذيلة بالحث على التفكر في ما تقدمها من مثل، يقول الحق تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(١)، فهذه الآية أفادت أن المثل بذاته ليس هو المقصود، وإنما هو وسيلة للتوصل إلى مقصد آخر يصعب الوصول إليه إلا بالتفكر والتدبر، فناسب ذلك التعقيب في آيات الأمثال استعمال مفردة التفكر والحث على أعماله.

آيات الأمثال التي عقبت بالتفكر:

قوله سبحانه: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ**

(١) سورة الحشر: آية ٢١.
(٢) سورة يونس: آية ٢٤.

هَـوَاهُ فَمَثَلُـهُ كَمَثَـلِ الْكَلْـبِ إِن تَحْمِـلْ عَلَيْـهِ يَلْهَـثْ أَوْ تَتْرُكْـهُ يَلْهَـث ذَّلِـكَ مَثَلُ الْقَـوْمِ الَّذِيـنَ كَذَّبُـواْ بِآيَاتِنَـا فَاقْصُـصِ الْقَصَـصَ لَعَلَّهُـمْ يَتَفَكَّـرُونَ﴾[1].

الحث على التفكر في سياق حوار الأنبياء مع أقوامهم في آيات القرآن الكريم

ورد الحث في سياق حوار الأنبياء مع أقوامهم على التفكر، ودعوتهم إياهم لعبادة الله وحده، والتفكر في هذه المواطن مطلوب، ذلك أن دعوة الأنبياء بنيت على أساس من البرهان الذي يروم لفت النظر إلى مجموعة من الحقائق، منها حقيقة النبوة وطبيعة النبي التي لا تفارق في شق منها الطبيعة البشرية: ﴿قُـل لا أَقُـولُ لَكُـمْ عِنـدِي خَزَآئِـنُ اللّهِ وَلا أَعْلَـمُ الْغَيْـبَ وَلا أَقُـولُ لَكُـمْ إِنِّـي مَلَـكٌ إِنْ أَتَّبِـعُ إِلاَّ مَـا يُوحَـى إِلَـيَّ قُـلْ هَـلْ يَسْـتَوِي الأَعْمَـى وَالْبَصِيـرُ أَفَـلاَ تَتَفَكَّـرُونَ﴾[2].

ثم لا يخفى عليك أن حقيقة النبوة من الحقائق العقدية الكبرى التي تستلزم التفكر، لذا فإن الناس لو تفكروا قليلًا في دعوات الأنبياء لما حادوا عن اتباعهم، وانحرفوا عن منهجهم، وقد شدد الله عز وجل في القرآن الكريم ـ وفي عدة مواضع وفي مواقف مختلفة ـ على مسألة التفكر، وكيف أعرض الناس عن الأنبياء لتركهم هذا الأمر، فقال عز من قائل: ﴿أَوَلَـمْ يَتَفَكَّـرُواْ مَـا بِصَاحِبِهِـم مِّـن جِنَّـةٍ إِنْ هُـوَ إِلاَّ نَذِيـرٌ مُّبِيـنٌ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿قُـلْ إِنَّمَـا أَعِظُكُـم بِوَاحِـدَةٍ أَن تَقُومُـوا لِلَّـهِ

(١) سورة الأعراف: آية ١٧٦.
(٢) سورة الأنعام: آية ٥٠.
(٣) سورة الأعراف: آية ١٨٤.

مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[1].

فالناظر في مفهوم التفكر في هذه الآيات، يلحظ أن التفكر هو بحق طريق الإيمان والاعتقاد الصحيح بالله عز ذكره وبآياته وبرسله.

بعد أن اتضح ما تقدم، آن أوان الإجابة على تلك التساؤلات واحدًا بعد الآخر:

هل التقوى هي الباعث على التفكر أو العكس؟

وإذا كان الباعث على تقوى الله عز وجل هو التفكر فهل هو مطلق التفكر أو التفكر بحدود قد حدت من قبل الشريعة الغراء؟

والجواب كما يأتي: يعد التفكر أول شرط من شروط مجاهدة النفس، وبه يوقن الإنسان أنه لا خالق إلا الله كما في قوله عز ذكره: **﴿اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[2]، فالتفكر في حقيقة الأمر تسخير العقل وتصحيح إرادة الإنسان من الجانب الخلقي فضلًا عن تقويته أصول التقوى في النفس، الأمر الذي يؤدي إلى تقويم الأفعال وتشذيب السلوك، والعبادة الحقة هي ما كانت بتحريك من العقل، فالتفكر في الطبيعة والخلقة وفي قصص الأمم السالفة والأحداث التاريخية باعث

(١) سورة سبأ: آية ٤٦.
(٢) سورة الجاثية: آية ١٢ - ١٣.

على إحياء العقل وإنعاشه، فيؤدي إلى استقامة الإنسان وعدم انحرافه وانحطاطه وترديه واتباع شهواته، فاتباع الشهوات يشعر بعدم الانصياع لما أكد عليه القرآن الكريم والسنة المطهرة من التفكر في آيات الله عز وجل، وعدد من هذه الآيات جاء في تعداد نعم الله عز وجل وما سخره للإنسان في هذه الأرض من وسائل الحياة، كما في قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وفي قوله سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

وفي قوله سبحانه: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4].

وفي قوله سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ

(١) سورة الرعد: آية ٣.
(٢) سورة الجاثية: آية ١٣.
(٣) سورة الروم: آية ٢١.
(٤) سورة الزمر: آية ٤٢.

كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللـه لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[١].

وفي قوله سبحانه: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللـه لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

وقوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ۞يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣].

فالتفكر باعث على التقوى، والتقوى لها الأثر البالغ في دوام التفكر وإدامته.

وبالجملة فإن إدمان التفكر عبادة وأصل لجميع العبادات، وهو أفضلها، وهذا المعنى هو المقصود في قول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: «أوصيكم بتقوى الله وإدامة التفكر...»[٤]، وقريب منه ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله: «أفضل العبادة إدمان التفكر في الله وفي قدرته»[٥]، فلا ريب إذن في أن التفكر في الله وفي قدرته يعد أعظم العبادات قدرًا وأشرفها أثرًا وأفخمها رتبة وأرفعها منزلة، ولذلك وقع الأمر به في آيات متكاثرة

(١) سورة البقرة: آية ٢١٩.
(٢) سورة البقرة: آية ٢٦٦.
(٣) سورة النحل: آية ١٠ - ١٢.
(٤) تنبيه الخواطر، ٦٠.
(٥) الكافي، ٢: ٥٥.

وروايات متضافرة لما له من آثار شريفة ولوازم منيفة، كلها عبادات عظيمة كمعرفة الله وعظمته وعلمه وقدرته واحتقار الدنيا والإعراض عن مغرياتها ومعرفة الجنة ودرجاتها ومعرفة النار ودركاتها والانقطاع إلى الله سبحانه وتفريغ القلب له.

وعن سؤال: هل الأمر بالتفكر الوارد في الآيات والروايات هو مطلق التفكر أو التفكر بحدود قد حددت من قبل الشريعة الغراء؟

والجواب هو أنه: ليس المراد مطلق التفكر، فيشمل حقيقة الذات المقدسة وحقيقة قدرته وسائر صفاته؛ إذ معرفتها والتفكر فيها خارج عن قدرة البشر، ولا يصل إليها العقل، والتفكر فيها يؤدي إلى الضلال المبين والإلحاد في الدين، بل المراد به التفكر في آيات صنع الله وآثار قدرته؛ فإن التفكر فيها وفي عظمتها يدل على عظمة الصانع وكمال قدرته، ومما يدل على ذلك ما رواه محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إياكم والتفكر في الله، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه»[1] وما رواه حسين بن المياح عن أبيه، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من نظر في الله كيف هو، هلك»[2].

ومنه تعرف أن التفكر على قسمين: تفكر في الخلق، وهو مما حرصت الشريعة الإسلامية على الحث على إدمانه وإدامته.

وتفكر في الخالق، وهذا مما ورد المنع عنه لاقتضائه الهلاك كما ورد

(١) الكافي، ١: ٩٣.
(٢) المصدر نفسه.

في كلام الإمام الصادق عليه السلام المتقدم في الرواية آنفة الذكر.

وعن السؤال: متى تأتي وظيفة التفكر؟ بعد معرفة الله سبحانه وتعالى أو أنه هو الطريق الموصل إلى معرفة الله عز وجل؟.

نجيب: أنه غالبًا ما يأتي الحث على التفكر في ذيل الآيات التي تتحدث عما سخره الله للإنسان، وكأنه وسيلة موصلة إلى فهم طبيعة هذه الآيات التكوينية التي تفضي إلى حقيقة واحدة، وهي أن وراء هذا الكون المسخر إله واحد يستحق من العبد الثناء عليه والشكر له على جميع المسخرات، وأول مراتب الشكر: العبادة، وهناك حقيقة أخرى تتبع ما أفضت إليه الحقيقة الأولى، وهذه الحقيقة هي عدم عبثية خلق العالم الدنيوي، وهذه حقيقة نطق بها القرآن الكريم على لسان المتفكرين من المؤمنين: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[1]، فدلت هذه الآية على أن عالم الدنيا ما هو إلا مطية الخلق إلى العالم الحقيقي، وجاءت آية أخرى تؤكد هذه الحقيقة، ولكن في سياق استنكار فعل الغافلين عن الآخرة: ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ**﴾[2]، فقد أرشد سبحانه في هذه الآية الشريفة إلى طريق العلم واليقين به، وهو التفكر في خلق الكون بأرضه وسمائه، وما فيهما من تدبير وإحكام وتنسيق بين أجزائه

(١) سورة آل عمران: آية ١٩١.
(٢) سورة الروم: آية ٧.

وكلياته، ومنه تعرف أن التفكير العلمي الرصين هو الطريق إلى معرفة الله سبحانه وتعالى بالتفكر في خلقه وتدبر عظمته، فحقيق به أن يكون أفضل صنوف العبادة وأرقى وسائل التكامل الذاتي للإنسان.

ثم يقول الإمام المجتبى عليه السلام: «... فإن التفكر أبو كل خير وأمه».

وهذا وصف في غاية الدقة وطرح لنتيجة جمعت بين أكنافها كل القيم الإنسانية حيث بدأ الإمام عليه السلام كلامه بقوله: «أوصيكم بتقوى الله، وإدامة التفكر»، ثم أتم عليه السلام بكلمة جمعت ما تضيق عنه المجلدات بقوله: «فإن التفكر أبو كل خير وأمه»، فالأب هنا يعني الأصل، والأم كذلك، فيكون المعنى أن التفكر أصل لكل خير، وكل خير متفرع عنه، كيف لا؟ وهو مفتاح الأسرار ومشكاة الأنوار، ومنشأة الاعتبار ومبدأ الاستبصار، وشبكة المعارف الحقيقية ومصيدة الحقائق اليقينية، وهو أجنحة النفس للطيران إلى وكرها القدسي، ومطية الروح للمسافرة إلى وطنها الأصلي، وبه تنكشف ظلمة الجهل وأستاره وتنجلي أنوار العلم وأسراره وهو الطريق الموصل إلى معرفة الله عز وجل ووسيلة النجاة والسعادة في القيامة والسبيل إلى معرفة حقائق التكوين وأسرار التشريع والأساس في تطور وتكامل البشرية.

خلاصة الكلام:

قال الإمام المجتبى عليه السلام: «أوصيكم بتقوى الله، وإدامة التفكر، فإن التفكر أبو كل خير وأمه»، فهذه وصية عظيمة جمعت حقوق الله وحقوق الخلق، وهي وصية الله للأولين والآخرين، قال سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّه**﴾[1]؛ وما ذاك إلا لترتب التقوى على الإيمان بالله سبحانه وباليوم الآخر، ووقايتها لمن اتصف بها من شبهات الدنيا وغمرات الموت وشدائد يوم القيامة، وإن إدمان التفكر عبادة؛ لأنه أصل لجميع العبادات، وهو أفضلها، والتقوى لها الأثر البالغ في دوام التفكر وإدامته، وهذا المعنى هو المقصود في قول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، فالتفكر تسخير للعقل وتصحيح لإرادة الإنسان من الجانب الخلقي فضلًا عن تقويته أصول التقوى في النفس، الأمر الذي يؤدي إلى تقويم الأفعال وتشذيب السلوك، والعبادة الحقة هي ما كانت بتحريك من العقل، وبذلك يكون التفكر أصل لكل خير، وكل خير متفرع عنه، فهو السبيل إلى معرفة حقائق التكوين وأسرار التشريع والأساس في تطور وتكامل البشرية.

❁❁❁

(١) سورة النساء: آية ١٣١.

الحديث الثاني

السهر والغفلة

السهو والغفلة عن الآخرة

ومن كلام له عليه السلام في بيان سهو الناس وغفلتهم في دار الدنيا عن الآخرة، قال: «الناس في دار سهو وغفلة، يعملون ولا يعلمون، فإذا صاروا إلى دار الآخرة صاروا إلى دار يقين يعلمون ولا يعملون».

الشرح:

إن عمر الإنسان قصير، وحياته مهما طالت فهي إلى زوال، وإن متاع الحياة الدنيا قليل، ولو انتبه هذا الإنسان من غفلته إلى من كانوا حوله، يأكلون ويشربون ويتمتعون ويتلذذون حتى فارقوه ورحلوا إلى دار البقاء، ولم يحملوا معهم إلا ما قدموا من حسنات وسيئات، وإن هذا هو حال من رحلوا من دار الفناء إلى دار البقاء، ثم نظر بعد ذلك إلى حاله مع الدار الآخرة لوجد نفسه في غفلة كبيرة وبعد عظيم عنها، يصرفه كل يوم عن الدنيا، وهو متعلق بها، وأما الآخرة، وهي دار البقاء والخلود، فتراه زاهدًا فيها أشد الزهد، على رغم علمه بأن وعد الله حق، وأن الموت حق، وأن الساعة حق، وأن الناس مبعوثون إلى ميقات يوم معلوم، وأنهم موقوفون بين يدي علام الغيوب، وسيسألون عن

كل صغيرة وكبيرة، وعن كل نقير وقطمير، ومع ذلك فهو معرض عن التزود لدار المقام.

إن الغفلة داء عضال، ومرض فتاك، عصف بالماضين فأهلكهم؛ لأنهم سهوا عن طلب النجاة لأنفسهم، وغفلوا عن التزود لدار المقام، وما أن استيقظوا من غفلتهم حتى وجدوا أنفسهم موسدين في قبورهم، مرتهنين بأعمالهم، يتمنى الواحد منهم أن يرجع إلى الدنيا كي يقدم زادًا يجده بين يدي ربه عندما تنشر الصحائف، وتفضح الخلائق بما قدموا من مساوئ أعمالهم، ويقول الحق تعالى في مثل حال أولئك: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[1].

ويعصف ذاك بالأحياء -كما عصف بالماضين- فيبعدهم عن التزود لدار المقام حتى يرديهم الموت، فيصبحوا من الخاسرين.

هذا، ونلحظ أن الإمام الحسن عليه السلام في حديثه عن سهو الناس وغفلتهم في دار الدنيا عن الآخرة يشير إلى ما هو من الأهمية بمكان، ولكي يتسنى لنا فهم كلامه عليه السلام وتبين مرامه ومرماه، فلا بد أن ندرسه بصورة مجزأة ثم نلحقه بحصيلة ما تمت دراسته لأجل بيان المعنى الذي يرمي إليه الإمام المجتبى عليه السلام من خلال هذا الحديث.

---

(١) سورة المؤمنون: آية ٩٩ - ١٠٠.

قال عليه السلام: ﴿الناس في دار سهو وغفلة...﴾.

هنا يشير الإمام عليه السلام بقوله: «الناس في دار سهو وغفلة» إلى دار الدنيا، وهذا واضح لا غموض فيه، إلا أننا أحوج ما نكون إلى بيان معنى السهو والغفلة، وإليك ذلك تباعًا:

مفهوم السهو:

سها عن الشيء يسهو سهوًا: غفل. وفرقوا بين الساهي والناسي: بأن الناسي إذا ذكرته تذكر، والساهي بخلافه. والسهوة: الغفلة[١].

والسهو لفظ يدل على الغفلة والسكون. فالسهو: الغفلة[٢].

والسهو: خطأ عن غفلة، وذلك ضربان: أحدهما أن لا يكون من الإنسان جوالبه ومولداته[٣] كمجنون سب إنسانًا. والثاني أن يكون منه مولداته كمن شرب خمرًا ثم ظهر منه منكر لا عن قصد إلى فعله. والأول معفو عنه، والثاني مأخوذ به. وعلى نحو الثاني ذم الله تعالى، فقال: ﴿**فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ**﴾، ﴿**عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾[٤].

والسهو: الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه، وإنه لساهٍ بيِّن السَّهو والسُّهو، وسها الرجل في صلاته: إذا غفل عن شيء منها[٥].

---

(١) المصباح المنير - الفيومي - ٢٩٣.
(٢) مقاييس اللغة - ابن فارس - ٣: ١٠٧.
(٣) أي ما يجلب الخطأ ويولده.
(٤) مفردات ألفاظ القرآن - ٤٣١.
(٥) تهذيب اللغة - الأزهري - ٦: ١٩٤.

والفرق بين النسيان والسهو: أن النسيان إنما يكون عما كان، والسهو يكون عما لم يكن، تقول: نسيت ما عرفته.

وفرق آخر: أن الإنسان إنما ينسى ما كان ذاكرًا له. والسهو يكون عن ذكر وعن غير ذكر؛ لأنه خفاء المعنى بما يمتنع به إدراكه[١].

فالأصل الواحد في هذه المادة: هو الغفلة عن عمل يقصده، ويريد أن يعمل به، كلًا أو جزءًا، ظاهريًّا أو معنويًّا.

فإذا كان السهو بسبب اختيار مقدمات توجبه: فهو مأخوذ به، وكذلك إذا كان عن قصد وعمد، وهذا لا يطلق عليه السهو.

فالسهو إنما يتعلق بعمل من نفسه، وإذا تعلق بعمل من الغير فهو غفلة، وإذا كان أخطأ في تشخيص المصداق ولم يصبه: فهو خطأ، سواء كان في حكم أو في موضوع أو عمل. وإذا كان الخطأ بتعمد وقصد: فهو عصيان وإثم[٢].

الفرق بين السهو في الشيء والسهو عنه:

السهو في الشيء تركه عن غير علم، والسهو عن الشيء هو تركه مع العلم به[٣].

ولتقريب الصورة نضرب مثلًا لذلك السهو في الصلاة والسهو عنها، إذ لا شك في أن معنى السهو أثناء الصلاة مختلف تمامًا عن السهو

(١) الفروق اللغوية – العسكري –٥٣٩.
(٢) التحقيق في كلمات القرآن – المصطفوي – ٥:٢٤٩.
(٣) سورة الماعون: آية ٥، وانظر: لسان العرب، ج١٤، ص٤٠٦.

عن أداء الصلاة، ولبيان الفرق بين السهو في الصلاة وبين السهو عنها، أقول:

السهو في الصلاة:

السهو في الصلاة أمر يحدث كثيرًا، ولا ينجو منه إلا من عصمه الله، وهنا يقصد بالسهو في الصلاة هو ما يقابل الخشوع، وله حكمه المختلف عن السهو عن الصلاة، فالمسلم هنا يحرص على أداء الصلاة، ولكن بسبب انشغال العقل بمختلف الأمور وإلهاء الشيطان له قد يفقد الشخص الخشوع والتركيز في الصلاة، وقد أجاز الشارع للمسلم أن يسجد سجود السهو ليجبر ذلك السهو والنقص الذي حدث في الصلاة.

السهو عن الصلاة:

يقصد بالسهو عن الصلاة عدم إقامة الصلاة، وقد قال الله تعالى في كتابه المجيد عمن يتركون الصلاة في سورة الماعون ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ۞الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ۞الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ۞وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾، فالوعد بالويل هنا ليس للمصلين الذين هم في صلاتهم ساهون، بل للذين هم عن صلاتهم ساهون، وهذا هو الفارق بين السهو في الشيء والسهو عنه، وكلام الإمام المجتبى عليه السلام يدور مدار السهو عن الشيء لا السهو فيه.

وعليه، فعلى من ضيّع ما افترضه الله سبحانه عليه من حقوق

وواجبات، وانشغل عنها بالدنيا وزينتها ألا ينتظر التوفيق من الله في حياته ولا النجاة في آخرته.

مفهوم الغفلة

الغفلة: غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره له، وأغفلت الشيء إغفالًا: تركته إهمالًا من غير نسيان[١].

والغفلة تدل على ترك الشيء سهوًا، وربما كان عن عمد، من ذلك غفلت عن الشيء غفلة وغفولًا، وذلك إذا تركته ساهيًا، وأغفلته إذا تركته على ذكر منك له[٢].

وأغفلت الشيء: تركته غفلًا وأنت له ذاكر. وغفل عن الشيء يغفل غفلة وغفولًا، والتغافل: التعمد[٣].

فالأصل الواحد في المادة: هو ما يقابل التذكر. وقلنا في السهو: إن السهو غفلة عن عمل يقصده، ولم يكن، سواء كان عن ذكر أم لا. والغفلة تكون عما يكون. كما أن النسيان يكون عما كان ذاكرًا له.

فالغفلة: عبارة عن انتفاء التذكر، والتغافل: استمرار الغفلة[٤].

وفي بيان الفرق بين السهو والغفلة يقول العسكري: إن الغفلة تكون عما يكون، والسهو يكون عما لا يكون، تقول: غفلت عن هذا

(١) ينظر: المصباح المنير – الفيومي – ٤٤٩.
(٢) ينظر: مقاييس اللغة – ابن فارس – ٤: ٣٨٦.
(٣) ينظر: تهذيب اللغة – الليثي – ٨:١٣٣.
(٤) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن – العلامة المصطفوي – ج٧، ص٢٤٨.

الشيء حتى كان، ولا تقول: سهوت عنه حتى كان؛ لأنك إذا سهوت عنه لم يكن، ويجوز أن تغفل عنه ويكون، وفرق آخر أن الغفلة تكون عن فعل الغير، تقول: كنت غافلًا عما كان من فلان، ولا يجوز أن يُسهى عن فعل الغير[١].

والفرق بين الغفلة والنسيان: أن الغفلة ترك باختيار الغافل بدليل قول الحق سبحانه: ﴿**وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ**﴾[٢]، وأما النسيان فهو ترك بغير اختيار الناسي؛ ولهذا لم يقل رب العزة جل وعلا: ولا تكن من الناسين؛ لأن الناسي ممن رفع عنه قلم التكليف لقول رسول الله ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان»[٣]، فتنبه للفرق.

الغفلة في القرآن:

وردت مادة (غفل) بمشتقاتها في القرآن الكريم في أكثر من خمسة وثلاثين موضعًا، وهنا نستعرض أبرز صورها وأشكالها في:

١ - اتباع الهوى والبعد عن الله :

وتعد هذه الصورة أكثر الصور التي يعلق عليها القرآن الكريم، ويصورها للإنسان البعيد عن مولاه المتبع لهواه؛ قال تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾[٤].

---

(١) الفروق اللغوية - العسكري - ٣٨٨.
(٢) سورة الأعراف: آية ٢٠٥.
(٣) جواهر الكلام - الشيخ حسن الجواهري - ٩: ٢٣٨.
(٤) سورة الكهف: آية ٢٨.

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾(١).

٢ - قسوة القلب وعدم الخشية:

ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(٢).

٣ - عدم تذكر اليوم الآخر:

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾(٦).

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ﴾(٧).

---

(١) سورة الأعراف: آية ٢٠٥.
(٢) سورة النحل: آية ١٠٨.
(٣) سورة الروم: آية ٧.
(٤) سورة مريم: آية ٣٩.
(٥) سورة الأنبياء: آية ١.
(٦) سورة الأنبياء: آية ٩٧.
(٧) سورة ق: آية ٢٢.

٤ - تعطيل وسائل الإدراك:

قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۞ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[٤].

٥ - الظلم وبطر الحق:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا

(١) سورة الأعراف: آية ١٧٩.
(٢) سورة يونس: آية ٧ - ٨.
(٣) سورة يونس: آية ٩٢.
(٤) سورة الأعراف: آية ١٣٦.
(٥) سورة الأنعام: آية ١٣١.

﴿وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[١].

ثم يتحدث القرآن عن حالات الانحراف العقدي، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا﴾، أي: لا يفكرون في الآخرة ولا يستعدون لها، ﴿وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾، وكأنهم أخبروا بأن الدنيا نهاية المطاف، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾، غفلوا عن الآيات التي في أنفسهم وفي هذا الكون، فأغمضوا عيونهم، وعطلوا عقولهم، وأغلقوا قلوبهم عن النظر إلى آيات الله في أنفسهم وفي ما حولهم، فغفلوا عنها، ولم ينفتحوا على الآخرة وعلى لقاء الله سبحانه وتعالى، ﴿أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[٢].

ومن جميع ما تقدم يتضح لنا معنى قول الإمام المجتبى عليه السلام: «الناس في دار سهو وغفلة...» أي أن الناس في الدنيا ساهون فيها عن طلب النجاة لأنفسهم، وغافلون فيها عن التزود لدار المقام، تشغلهم شهواتهم وأموالهم عن التدبر في آيات الله والتزود للقائه.

هذا، وليست الغفلة قصرًا على الجاهل وغير المتعلم، بل هناك ممن تبحر في علوم الدنيا، وحمل أكبر شهادة في علومها، وهو مع ذلك من الغافلين، وفي هذا الخصوص يقول الحق تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[٣].

فالغافل هو من تقعد به غفلته عن الترقي في مراتب الكمال، ولا

(١) سورة الأعراف: آية ١٤٦.
(٢) سورة يونس: آية ٧ - ٨.
(٣) سورة الروم: آية ٧.

سبيل له إلى مقام الإحسان، مثل القاعد، لا سبيل له للوصول إلى بيته.

فلو كان لشخص ما شجرة يتعاهدها بالسقيا ثم غفل عنها، فإنه سرعان ما ستظهر عليها آثار الغفلة كذبول أوراقها وموت أغصانها، وهكذا شجرة الإيمان والتقوى في القلب، فإن غذاءها وسقيها ذكر الله عز وجل، ومتى ما غفلت ذبلت وماتت، وحينها يكون من أهملها من الغافلين، يقول الحق سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾[1]، فالغافل يأتي يوم القيامة نادمًا، يسكب خلف آثار غفلته العبرات، ويطلق عليها أشد الزفرات.

وقد أخبر الحق تعالى عن قوم فرعون، وبين في كتابه الكريم سبب هلاكهم، فقال: ﴿**فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ**﴾[2].

وحدد سبحانه مصير الغافلين بأن موعدهم النار بقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۞ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**﴾[3].

ويلحظ أن الآية الشريفة ركزت على سبب الغفلة، وهو الرضى بالحياة الدنيا والاطمئنان بها وعد ما فيها نعيمًا مقيمًا، لا يحول ولا

(١) سورة الأعراف: آية ١٧٩.
(٢) سورة الأعراف: آية ١٣٦.
(٣) سورة يونس: آية ٧ - ٨.

يـزول.

فهـذا الـرضى وهـذا الاطمئنـان بالحيـاة الدنيـا يتسـببان -لا محالـة- في غفلـة النـاس عـن المـوت وأنهـم في يـوم راحلـين منهـا، وأنهـم سيسـألون غـدًا عـما جنـت أيديهـم.

فإقبـال النـاس عـلى الشـهوات يعبـون منهـا عبًـا جعلهـم لا يفرقـون بـين حلالهـا وحرامهـا؛ ينقـادون لأنفسـهم في كل مـا تشـتهيه بغـير تفكير ولا تـرو ولا وجـل، وهـذا الصنـف مـن بنـي البـشر وصفـه الحـق تعـالى في كتابـه المجيـد، وذكـر مصـيره، فقـال عـز مـن قائل: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۞ أُولَـئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۞ لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرونَ**﴾[1]، فالطبـع عـلى القلـوب والأبصـار والأسـماع إنـما كان لإلفهـم الكفـر واسـتثقالهم للحـق والإيـمان، كأنهـم مـا سـمعوه ولا رأوه، ولا يـراد بذلـك نفـي تلـك الحـواس، دل عـلى ذلـك قولـه سـبحانه: ﴿**وَإِن تَدْعُوهُـمْ إِلَى الْهُـدَى لاَ يَسْـمَعُواْ وَتَرَاهُـمْ يَنظُـرُونَ إِلَيْـكَ وَهُـمْ لاَ يُبْصِرُونَ**﴾[2]، بمعنـى أنهـم يشـبهون الناظريـن إليـك، وهـم لا يبصرونـك؛ لأنهـم صـوروا بصـورة مـن ينظـر إلى مـن يواجهـه دون رؤيتـه[3].

فالغافـل لا يسـتجيب لنصيحـة، ولا يتأثـر بموعظـة؛ لأن الطـرق التـي تدخـل منهـا الموعظـة إلى قلبـه معطلـة؛ وقلبـه سـاهٍ لاهٍ مشـغول بزينـة الدنيـا

(١) سورة النحل: آية ١٠٧ - ١٠٩.
(٢) سورة الأعراف: آية ١٩٨.
(٣) ينظر: التفسير الأصفى - الفيض الكاشاني - ١: ٤١٩.

متبع لهواه مفرط في أمر دينه ومولاه، وحينها يكون كالمصاب بمرض معد، ينتقل إلى كل من جالسه وآخاه؛ ولذلك حذر الله سبحانه من هذا الصنف من الناس بقوله عز من قائل: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً**﴾ أي: ولا تطع من جعلنا قلبه غافلًا عن ذكرنا بسبب تعرضه للغفلة وسوء اختياره المعصية على الطاعة؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿**وَاتَّبَعَ هَوَاهُ**﴾[1].

وعليه، فالإنسان إذا انشغل عن الحقوق الواجب من الله سبحانه أداؤها عليه، وتوانى عن القيام بها، يقال فيه: أصمه وأعماه، وكما قيل في المثل: حبك للشيء يعمي ويصم - يريدون به ما قلناه - وقال مسكين الدارمي:

أعمى إذا ما جارتي خرجت حتى يواري جارتي الخدر
وأصم عما كان بينهما سمعي وما بي غيره وقر[2]

وقال عليه السلام: (... يعملون ولا يعلمون...).

إن العمل لمتاع الدنيا إذا كان لا يستلزم محذورًا شرعيًّا، وكان موازيًا للعمل لمتاع الآخرة الدائم بعد البعث كان ذلك فوزًا برضى الله عز وجل، وبالسعادة والحياة الدائمة الخالدة في الجنة. بحيث يكون كل

(١) ينظر: تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي - ٦: ٣٣٧.
(٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن - الشيخ الطوسي - ١: ٩٠، بتصرف.

عمل أو قول يصدر عن الإنسان مطابقًا لأحكامه سبحانه وتعالى.

فعلى الإنسان أن يعمل لمتاع الدنيا في إطار شرع الله وعبادته وطاعته، وأن يتزود منها بأحسن ما يكون، فإن الدنيا مزرعة الآخرة، وهو لا يكون إلا بالتقوى والعمل الصالح، وعدم الطلب من الدنيا أكثر مما بلغ إليه من الرزق قل أو كثر لكونه علامة الحرص المنافي للتوكل، فإذا كان الإنسان عاملًا بهذه الأمور سيكون على يقين في دينه واثقًا بربه آيسًا عن غيره؛ إذ لا مقام للعبد أعلى وأشرف من هذا المقام لكونه جامعًا بين مرتبته الظاهرة ومرتبته الباطنة، وبخلافه ما إذا كانت العناية بمتاع الدنيا وزينتها وإهمال العمل لمتاع الآخرة، ومصير من كانت حاله هذه النار مأواه كما قال رب العزة جل وعلا في كتابه المجيد: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝ أُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**﴾[1]، فلا فائدة من متاع الدنيا المؤقت إذا لم يعمل الإنسان على طاعة الله عز وجل وعبادته؛ لأن متاع الآخرة في الجنة هو الأهم لديمومته وأبديته.

أ ما ترى أن الإنسان إذا غفل عن نفسه أو ماله أو أهله كثر المعاتبون، وبرز الناصحون له، فما بالك بمن غفل عن دينه وآخرته، وعمل لدنياه، وغفل عن طاعة الخالق، وعمل على طاعة المخلوق، فتلك حينئذ المصيبة العظمى والطامة الكبرى.

وقال عليه السلام: «...فإذا صاروا إلى دار الآخرة صاروا إلى دار يقين

(١) سورة يونس: آية ٧-٨.

يعلمـون ولا يعملـون».

فالنـاس في حياتهـم عـلى رغـم مـا يبـدو عليهـم مـن وعـي إلا أنهـم غافلـون عـن الآخـرة، وكأنهـم نيـام، فـإذا مـات أحدهـم انتبـه وتيقـظ، وعـاد إليـه الوعـي الحقيقـي.

يسـوق الله سـبحانه وتعـالى للنـاس الدليـل بعـد الدليـل والحجـة بعـد الحجـة ليعـوا، ويؤمنـوا أن الدنيـا إلى فنـاء وأن الآخـرة هـي دار البقـاء، وسـيجازى كل إنسـان بـما قـدم وأخـر، يقـول الله جـل جلالـه: ﴿**يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللهَ وَلْتَنظُـرْ نَفْسٌ مَّـا قَدَّمَـتْ لِغَـدٍ وَاتَّقُـوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِـيرٌ بِـمَا تَعْمَلُـونَ**﴾[1]، إلاَّ أن كثـيرًا منهـم قابلـوا ذلـك بالإعـراض، فأصبحـوا وكأنهـم نيـام عـن حقيقـة مـا حولهـم، وإلى هـذا أشـار نبـي الإسـلام ﷺ بقولـه: «النـاس نيـام فـإذا ماتـوا انتبهـوا»، أي: رأوا كل شيء ممـا وعدهـم الله بـه واضحًـا جليًـا لا لبـس فيـه، فتكـون هـذه لحظـة الانتبـاه إلى الله ومنهجـه وحقيقـة هـذ الكـون.

فهـم نيـام عـما ينتظرهـم في الآخـرة، فبعـض النـاس يصـدق بيقـين، وبعضهـم يصـدق بشـك، وبعضهـم يكـذب، ولكنهـم جميعًـا سـيصلون لمرتبـة اليقـين بعـد المـوت، فعـلى رغـم يقـين كل إنسـان بأنـه سـوف يمـوت فهنـاك شـك في كل نفـس بشريـة عـن موتهـا.

فالنائـم لا يـدرك أنـه كان يحلـم إلا بعـد أن يسـتيقظ.. كذلـك الغافـل لا يـدرك مـا فاتـه إلا بعـد أن يمـوت، ويكشـف عنـه الغطـاء، ويصبـح بـصره

(١) سورة الحشر: آية ١٨.

حديدًا، فيقول الحق تعالى حكاية عمن كانت حاله هذه: ﴿**لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾[1] فحينها يفاجأ بما قدم في حياته.

فهم يعملون في الدنيا، ويتزودن لها، ولا يعلمون ما ينتظرهم في الآخرة، ولكن سيصلون جميعهم لمرتبة العلم اليقيني بعد الموت، ولكن لا يقدرون حينها على عمل يتلافون به ما غفلوا عنه في دار الدنيا حيث كانوا يعملون.

خلاصة الكلام:

يقول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: «الناس في دار سهو وغفلة، يعملون ولا يعلمون، فإذا صاروا إلى دار الآخرة صاروا إلى دار يقين يعلمون ولا يعملون» بمعنى **أن** الناس في الدنيا ساهون فيها عن طلب النجاة لأنفسهم، وغافلون فيها عن التزود لدار المقام، تشغلهم شهواتهم وأموالهم عن التدبر في آيات الله والتزود للقائه، فهم في حياتهم على رغم ما يبدو عليهم من وعي إلا أنهم غافلون عن الآخرة، يعملون في الدنيا، ويتزودون لها، ولا يعلمون ما ينتظرهم في الآخرة، ولكن سيصلون جميعهم لمرتبة العلم اليقيني بعد الموت ولكن لا يقدرون حينها على عمل يتلافون به ما غفلوا عنه في دار الدنيا حيث كانوا يعملون.

(١) سورة ق: آية ٢٢.

فالغافل لا يدرك ما فاته إلا بعد أن يموت، ويكشف عنه الغطاء، ويصبح بصره حديدًا، فيقول الحق تعالى حكاية عمن كانت حاله هذه: ﴿**لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾[1] فحينها يفاجأ بما قدم في حياته.

❁❁❁

(١) سورة ق: آية ٢٢.

الحديث الثالث

شكر النعمة وكفرانها

شكر النعمة وكفرانها

ومن كلام له عليه السلام في شكر النعمة وكفرانها، قال: «**النعمة محنة، فإن شكرت كانت كنزًا، وإن كفرت صارت نقمة**»[١].

الشرح:

إن الإنسان منذ أن وجد على وجه الأرض، وجرى عليه قلم التكليف فهو في وسط دائرة الابتلاء والامتحان والاختبار، يقول الحق تعالى في هذا الخصوص: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾[٢].

فهذا النص القرآني يقرر عدم انفكاك الإنسان في وجوده عن أنواع الابتلاءات والاختبارات، ويقول عز ذكره: ﴿**حَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾[٣]، وقال عز شأنه: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ**

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج٢٥، ص١١٣.
(٢) سورة الملك: آية ٢.
(٣) سورة العنكبوت: آية ٢ - ٣.

حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾[1].

وهنا يثار هذا التساؤل:

هل الابتلاء هو فقط بالشدائد والمصائب؟

ويجاب عليه بما قاله سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في كلمة موجزة: (النعمة محنة...)، أي أن الابتلاء ليس فقط بالشدائد والمصائب، بل كذلك يكون بالخيرات والنعم.

وللوقوف على معنى قول الإمام عليه السلام على نحو أكثر وضوحًا لا بد من الرجوع إلى المعاجم اللغوية، ولنا عندها وقفتان:

الأولى للتعريف بالنعمة لغة واصطلاحًا.

والثانية للتعريف بالمحنة لغة واصطلاحًا.

النعمة لغة واصطلاحًا

النعمة لغةً:

فالنعمة في اللغة - بكسر النون - الحالة الحسنة، والنعمة مصدر دال على الهيأة التي يكون عليها الإنسان كالجلسة والركبة والمشية.

والنعمة - بفتح النون - التنعم، وبناؤها بناء المرة من الفعل كالضربة والشتمة.

والنعمة - بكسر النون -تكون أيضًا للجنس، وهي تقال للقليل

(١) سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم : آية ٣١.

والكثير، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا...﴾[١].

والنعيم والنعمى - بالضم - الدعة والمال، وهو ضد البأساء والبؤس، وجمع النعمة نعم وأنعم، ونعم الشيء؛ لان ملمسه ونضر وطاب، والتنعيم: الترفه.

ونعمة الله - بكسر النون - منه وعطاؤه للعبد مما لا يمكن لغيره أن يعطيه إياه، كالسمع والبصر، وفلان واسع النعمة، أي واسع المال وافره، والنعمة كذلك الرفاهية وطيب العيش وسعته ورغده.

والإنعام: إيصال الإحسان إلى الغير، ولا يقال إلا إذا كان الموصل إليه من جنس الناطقين؛ فإنه لا يقال: أنعم فلان على فرسه ودابته.

والنعماء بإزاء الضراء، ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ...﴾[٢].

والناعمة والمناعمة والمنعمة: الحسنة العيش والغذاء المترفه.

وتنعم: تناول ما فيه النعمة وطيب العيش، يقال نعمه تنعيمًا، أي جعله في نعمة ولين عيش وخصب، والمنعام: المفضال الذي يعطي ويكثر.

والمنعم: كثير المال، حسن الحال، وافر الخير[٣].

---

(١) سورة النحل: آية ١٨.

(٢) سورة هود: آية ١٠.

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن - الراغب الأصفهاني - ص٤٩٩ - ٥٠٠. لسان العرب - ابن منظور - ج١٢، ص٦٨٧ - ٦٨٩. القاموس المحيط - الفيروز آبادي - ص١٥٠٠ - ١٥٠١. المعجم الوسيط - هيأة التأليف، إبراهيم أنيس وآخرون - ص ٩٧٢. الأفعال في القرآن الكريم - عبد الحميد السيد - ج٢، ص١٣٦١.

وتحصل من جميع ما تقدم: أن كلمة النعمة في أصل اللغة تدل على الحالة التي يستلذها الإنسان، ويستطيبها، ويتمناها، وعلى ذلك فإنه يراد بها رفاهية العيش وطيبه ومتعته ورغده وسعته.

النعمة اصطلاحًا:

والنعمة اصطلاحًا هي المنفعة الواصلة إلى الغير على جهة الإحسان إليه، وهي موجبة للشكر المستلزم للمزيد[١].

وتطلق النعمة أيضًا في لسان الأئمة عليهم السلام تارة على الدين[٢]، وتارة عليهم[٣]، وعلى موالاتهم ومحبتهم[٤]، كما هو ظاهر من التتبع[٥].

فالنعمة جنس عام تندرج فيه أنواع النعم، فمنها نعمة الدين ونعمة الولاية ونعمة الصحة في البدن والسمع والبصر والعقل وجميع الأعضاء، وأعظمها نعمةً الدين والثبات على النهج القويم لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله الطاهرين عليهم السلام، قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾[٦]، فهي أعظم نعمة وأجل منة امتن الله تعالى بها على هذه الأمة، وقد نوه الله عز ذكره بهذه

(١) الروضة البهية – الشهيد الثاني – ١: ٢٢١.
(٢) البحار، ج٤، ص ٥٣، ج٩، ص٣٥.
(٣) تفسير العياشي ٢: ٢٤٦ – ٢٤٧ / ٢، البحار ٢٤: ٥١ / ٢ – ٤ و ٥٣ / ٨، ١٠ و ٥٤ / ١٦ – ١٨، وغيرها.
(٤) البحار ٢٤: ٥٢ / ٧ و ٥٤ / ١٦.
(٥) ينظر: الرسائل الأحمدية، ج١، ص١٤١.
(٦) سورة المائدة: آية ٣.

النعمة العظيمة بقوله سبحانه: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾[1]، وإنما كانت هذه النعمة هي أجل النعم وأعظمها؛ لأنه بها حصل الخروج من الظلمات إلى النور والظفر بالهداية والسلامة من الغواية.

المحنة لغة واصطلاحًا

المحنة لغةً:

المحنة لغة: فهي واحدة المحن، لها معان هي:

الأول: المحنة أي الاختبار، والخبرة، والمحنة التي يمتحن بها الإنسان من بلية[2].

الثاني: المحنة بمعنى العطية[3].

الثالث: والمحن اللين من كل شيء[4].

ومن المعنى اللغوي للمحنة تبين أنها وردت بمعنى الاختبار والابتلاء والتمحيص والامتحان، وأنها تأتي بمعنى العطية واللين.

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٦٤.
(٢) ينظر: لسان العرب، ج١٣، ص٤٠١.
(٣) ينظر: مقاييس اللغة - ابن فارس- ج٥، ص٣٠٢.
(٤) ينظر: لسان العرب، ج١٣، ص٤٠١.

المحنة اصطلاحًا:

المحنة في الاصطلاح تعني الابتلاء والاختبار[١].

ونخلص من هذا كله إلى أن المحنة امتحان وابتلاء وتمحيص بمصيبة في الدين أو النفس أو الأهل أو المال، يعرف منها صبر الممتحن أو جزعه.

ومن هنا يتضح لنا قول الإمام المجتبى عليه السلام: (النعمة محنة) أي أن البلاء كما يكون بالشر والشدائد والمصاعب والمحن، فإنه كذلك يكون بالخيرات والنعم.

ويشهد لذلك قول الحق تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿**وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَالله عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾[٤]، وقوله: ﴿**وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ الله عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾[٥]، والامتحان بالنعم والخيرات لا ينتبه له إلا من وفقه الله سبحانه لذلك.

---

(١) تفسير الميزان - محمد حسين الطباطبائي - ١٨: ٣١٠.
(٢) سورة الأنبياء: آية ٣٥.
(٣) سورة الأعراف: آية ١٦٨.
(٤) سورة التغابن: آية ١٥.
(٥) سورة الأنفال: آية ٢٨.

مفهوم الشكر

قال عليه السلام: «النعمة محنة، إن شكرت كانت كنزًا...».

والشكر في اللغة هو الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف، ويقال: شكرته وشكرت له، وباللام أفصح، ويقولون: دابة شكور إذا كان يكفيها العلف القليل، ويقال أيضًا: دابة شكور إذا كانت تظهر من السمن أكثر مما تعطى من العلف، وهذه المعاني تدل على النماء وعلى الزيادة[١].

والشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم للمنعم[٢].

وشكر الله عز وجل يتحقق بثلاث مراتب بحسب الأكملية:

الأولى: الاعتراف بالنعمة.

الثانية: الثناء على المنعم بها.

الثالثة: استعمالها في طاعة المنعم.

فالشكر الأكمل يتحقق بالاعتراف بها، وذلك أن يستذكرها الإنسان في قلبه، وتكون حاضرة على الدوام في باله وفي ذهنه، ويتحدث بها بلسانه لقوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾[٣]، أي: اذكر نعم الله وأظهرها وتحدث بها[٤]، وبالثناء على المنعم، وذلك بأن يثني على الله

(١) ينظر: لسان العرب، ٤: ٤٢٤.
(٢) التبيان في تفسير القرآن - الشيخ الطوسي - ٩: ٤٥٦.
(٣) سورة الضحى: آية ١١.
(٤) التبيان في تفسير القرآن - الشيخ الطوسي - ١٠: ٣٧٠.

سبحانه، ويحمده على نعمه، وباستعمال تلك النعم في طاعة المنعم عز وجل وفي الموارد التي يحرز بها مرضاته سبحانه وعدم صرفها في ما يسخطه، فبهذه الأمور يتحقق الشكر الأكمل.

إذن فشكر نعم الله عز ذكره يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح.

فقول الإمام عليه السلام: «... فإن شكرت كانت كنزًا...» معناه أن النعم إذا شكرت فإنها تبقى وتستقر، واتضح مما تقدم أن شكر النعمة يتحقق باللسان والقلب والجوارح، فمتى ما تحقق الشكر بهذه الأمور صار فاعلها شكورًا، وصار للنعمة عنده قرار ومستقر، وبتعبير الإمام عليه السلام صارت كنزًا؛ لأن الله عز وجل وعد بالزيادة لمن شكر، في قوله: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾[1].

نماذج من القرآن الكريم على شكر الشاكرين لأنعم الله

وإليك نماذج من القرآن الكريم على شكر الشاكرين لأنعم الله؛ فإن الله تبارك وتعالى ذكر عددًا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، اتصفوا بصفة الشكر والثناء لله عز وجل، منهم:

نبي الله سليمان عليه السلام:

جاء في قصة نبي الله سليمان عليه السلام حين سمع النملة تحذر قومها الهلاك إن لم يدخلوا مساكنهم، فاستشعر سليمان عليه السلام النعمة، وسأل ربه النجاح في الاختبار بالتوفيق للشكر: ﴿**فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي**

(١) سورة إبراهم: آية ٧.

أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾(١).

ولما جيء إليه بعرش بلقيس ملكة سبأ من اليمن إلى الشام في أقل من طرفة عين: **﴿قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾**(٢).

نبي الله نوح عليه السلام:

فقد وصفه الحق تعالى بأنه عبد شكور، فقال عز من قائل: **﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾**(٣).

نبي الله إبراهيم عليه السلام:

وقد ذكره الحق سبحانه، وأثنى عليه، ومن جملة ما أثنى عليه به أنه كان شاكرًا لأنعم ربه، فقال عز وجل: **﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾**(٤).

---

(١) سورة النمل: آية ١٩.
(٢) سورة النمل: من الآية ٤٠.
(٣) سورة الإسراء: آية ٣.
(٤) سورة النحل: آية ١٢٠-١٢١.

نبي الله لوط عليه السلام:

جاء ذكره في سورة القمر، حيث ذكر الله سبحانه تكذيب من كذبه وإهلاكه للذين كذبوه، وعارضوه، فذكر إنجاءه له ومن معه، وأن لوطًا عليه السلام حدث، وأخبر بأن هذه نعمة من عند الله عز وجل يجزى بها من شكر؛ فقال سبحانه: ﴿ **كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ۞ نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ** ﴾[1]، فإن لوطًا عليه السلام ومن معه نجاهم الله من العذاب الذي أحاط بهم من قبل الذين كذبوه، وقال الله عز وجل: ﴿**كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ**﴾ يعني: مثل ما فعلنا بهم نفعل بمن يشكر الله على نعمه[2].

مفهوم الكفر

ثم قال عليه السلام: «... وإن كفرت صارت نقمة».

الكفر في اللغة ستر الشيء وتغطيته، فيقال لمن غطى درعه بثوبه: قد كفر درعه، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص، والزراع لستره البذر في الأرض، وكذلك يوصف به البحر، والوادي العظيم، والنهر الكبير، والسحاب المظلم.

وكفر النعمة وكفرانها: سترها بترك أداء شكرها، وعدم نسبتها إلى من أولاها وأسداها، والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالًا، والكفر

(١) سورة القمر: آية ٣٣ و ٣٥.
(٢) التبيان في تفسير القرآن - الشيخ الطوسي- ٩: ٤٥٦.

في الدين أكثر.

ولما كان الكفران يقتضي جحود النعمة صار يستعمل في الجحود.

والكافر على الإطلاق متعارف، وعني به الساتر للحق، المغطي لما أمر بإظهاره وكشفه وبيانه من الحق.

والكفور: المبالغ في كفران النعمة، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ**﴾[١]، وهذا تنبيه على ما ينطوي عليه الإنسان من كفران النعمة، وقلة ما يقوم بأداء الشكر، ولذلك قال الحق تعالى: ﴿**قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ**﴾[٢]، وقال: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾[٣]، وفيه تنبيه على أنه تعالى عرفه الطريقين، فمن سلك سبيل الشكر، ومن سلك سبيل الكفر[٤].

إذن، كفران النعمة معناه إخفاؤها، وله مصاديق ثلاثة:

الأولى: بأن يجهل أصل النعمة، فهو نتيجة لعدم الفهم، لا يعرف النعمة، ولا يرى لها وجودًا، ويساوي بين وجودها وعدمها.

أو يجهل المنعم، بأن يجهل الخالق بالمرة، أو يجهل أنه هو المنعم، فلا يرى تلك النعمة منه بل يراها من غيره.

والخلاصة أن الجهل بالنعمة أو بالمنعم، كلاهما كفران بالنعمة،

---

(١) سورة الزخرف: آية ١٥.
(٢) سورة عبس: آية ١٧.
(٣) سورة الإنسان: آية ٣.
(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة - ابن فارس-: ص٩٣١، المفردات في غريب القرآن- الأصفهاني-: ٤٣٣ - ٤٣٥، الكليات - الكفوي-: ص٧٦٣.

ومورد قطعي للعقوبة التي وعد بها الكافرون بالنعمة، ولا شك أنه من كبائر الذنوب.

الثانية: الكفر بحسب الحال، وتوضيحه أن الإنسان العاقل حين تصل إليه نعمة الله يجب أن يفرح، ويبتهج قلبه، حيث حلت به نعمة الله وعنايته، ويجب أن يذكر الله، ويشكره، ويأمل دوام فضله ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا**﴾[1]، أما إذا فعل عكس ذلك فأساء الظن بخالقه، ولم يأمل فضله، ولم يأنس قلبه معه بل كان بعيدًا عنه يائسًا منه، فذلك هو الكفر بنعمة الله.

الثالثة: الكفر بالأعضاء والجوارح، وهو الكفر العملي، وذلك بأن يقصد بقلبه المعصية، ويظهر بلسانه الذم والشكوى بدل ذكر النعمة وشكرها ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾[2]، فهو يتجاهل النعمة، ويشكو لعدم تحقق آماله الوهمية من فعل الله، ويصرف نعمة الله في غير ما خلقت له، ويستعين بأعضائه على ما نهى الله عنه، وما يوجب البعد عن رحمته[3].

قال الإمام السجاد عليه السلام في تفسير (الذنوب التي تغير النعم): منها كفران النعم[4].

وقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «ضغطة القبر للمؤمن كفارة لما كان

(١) سورة يونس: آية ٥٨.
(٢) سورة الضحى: آية ١١.
(٣) الذنوب الكبيرة - السيد عبد الحسين دستغيب - ٢: ٣٥٠.
(٤) معاني الأخبار - الشيخ الصدوق -: ص٢٧٠.

منه من تضييع النعم»[١].

نماذج من القرآن الكريم على الكفر بأنعم الله

وإليك نماذج مما جاء في كتاب الله سبحانه من كفر النعم:

القرية التي كفرت بنعم الله:

فقال عز وجل: ﴿**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ**﴾[٢]، فبين الحق سبحانه في هذا المثل الذي ضربه لهذه الأمة بهذه القرية من الأمم السابقة التي كان هذا شأنها؛ حيث أغدق الله تعالى عليها النعم، وأولى عليها الخيرات؛ يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان، فلما كفرت بهذه النعم؛ أذاقها لباس الجوع والخوف بما كسبته أيديها، فحصل لها ما حصل، فسلبت منها نعمة الأمن، وحلت محلها نقمة الخوف والبؤس والشقاء، فكل ذلك كان نتيجة لكفران النعم.

قارون وكفره بالنعم:

وذكر الحق عز وجل قصة قارون في سورة القصص، وما حصل له من النعم العظيمة التي توالت عليه؛ حتى إن مفاتح

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ٦: ٢٢١.
(٢) سورة النحل: آية ١١٢.

خزائنه لتنوء بالعصبة أولي القوة، وقال عن نفسه بأن ما أوتيه من هذه النعم لكونه أهلًا لذلك؛ فكفر هذه النعم، ولم يشكرها، ولم ينسبها إلى من أولاها وأسداها، فضلًا عن عدم صرفها في طاعة الله عز وجل، فقال سبحانه: ﴿**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۞ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ۞ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ۞ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ**﴾[1]، فهذه هي نتيجة كفران النعم، أن خسف الله به وبداره الأرض، فهذه النعم التي أنعم الله تعالى بها عليه، لما لم يشكرها صارت وبالًا عليه، وذهبت وذهب هو معها من غير أن يهنأ بها، ويسعد، بل لحقه منها الضرر والخسران في الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

(١) سورة القصص: آية ٧٦ إلى ٨١.

سبأ وكفرهم بالنعم:

وذكر الله عز وجل في كتابه العزيز قصة سبأ بعد أن ذكر قصة داود وسليمان عليهما السلام اللذين كانا من الشاكرين لنعم الله عز وجل، ذكر قصة الذين كفروا بنعم الله عز وجل وما حل بهم من العذاب وما حصل لهم من قلة الخير وقلة النعم، ثم تمزيقهم وتشتيتهم، قال الله عز وجل: ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۞ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۞ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ**﴾[1]، ثم ختم سبحانه وتعالى الآيات بقوله: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾[2]،أي أن الذي وقع عليهم، وحل بهم فيه عبرة لمن اعتبر.

فهذه نماذج وأمثلة مما جاء في كتاب الله عز وجل في العقاب الذي حل بمن كفر بنعم الله عز وجل؛ فإن كفران النعم يذهب بها عن صاحبها، وينالـه ما يناله من العذاب في الدنيا، وما يناله في الآخرة أشد وأعظم من ذلك.

---

(١) سورة سبأ: آية ١٥ إلى ١٧.

(٢) سورة سبأ: آية ١٩.

خلاصة الكلام:

قال الإمام المجتبى عليه السلام: «**النعمة محنة، إن شكرت كانت كنزًا، وإن كفرت صارت نقمة**» ومعنى ذلك أن الابتلاء يكون بالخيرات والنعم كما يكون بالشدائد والمصائب، والنعمة متى ما شكرت تنامت، وازدادت، فصارت كنزًا، ومتى ما كفرت، وترك شكرها، وأنكر من أولاها وأسداها ارتفعت، وأصبحت وبالًا ونقمة.

❁❁❁

الحديث الرابع

العفة والحرص الذميم

العفة والحرص الذميم

ومن كلام له عليه السلام في العفة وذم الحرص، قال: «ليست العفة بدافعة رزقًا، ولا الحرص بجالب فضلًا، فإن الرزق مقسوم، واستعمال الحرص استعمال المأثم».

الشرح:

حرص الإسلام على إرساء منظومة القيم الخلقية، واعتبارها اللبنة الأساس لبناء الإنسانية كي تستقيم بذلك حياة الفرد، فيؤدي رسالته لبناء مجتمعه ونهضته، ويواجه كل التجاوزات الخلقية بعزم وحزم.

والعفة واحدة من تلك المبادئ والقيم التي جاء بها الإسلام، وأرسى قواعدها، فجاءت منسجمة مع الفطرة السليمة.

فصاحب العفة ممن تؤول عاقبته إلى الغناء والاستغناء ونور القلب والبصيرة والضياء والعلم والفراسة والتوفيق؛ وذلك أن العفة في حقيقتها مراقبة الله تعالى وخشيته، ومعلوم أن من راقب الله سبحانه في حركاته وسكناته خشيةً منه يسبغ عليه رضاه، فيقول عز من قائل في

كتابه المجيد في سورة البينة: ﴿**رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾[١]، ويقول سبحانه في سورة الرحمن: ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾[٢]، ويقول عز ذكره في سورة النازعات: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾[٣].

والإمام الحسن المجتبى عليه السلام بقوله: «ليست العفة بدافعة رزقًا، ولا الحرص بجالب فضلًا، فإن الرزق مقسوم واستعمال الحرص استعمال المأثم»، أوضح للإنسانية قانون الحياة كي تحيا كما أراد الله لها، فأبان عليه السلام في قوله المتقدم أن كل إنسان يحصل على ما قدر له سواء سعى إليه جاهدًا أو لم يسع إليه، فإن الإنسان إذا كان عفيفًا لا يعني ذلك حرمانه الرزق، وإن من يسعى تكاثرًا وحرصًا على الدنيا، ويجزع على ما فاته منها مستقلًا لما في يديه منها، ولا يبالي ما ذهب من دينه إذا سلمت دنياه، ولا من أين اكتسب وفيم أنفق، فذاك لا يكفيه ما بكفه، ويسعى جاهدًا في طلب ما يطغيه، فيصبح وما شبع، ويمسي وما قنع، وما جر نفعًا له ولا جلب رزقًا سوى السيئات والآثام.

ولا بد لنا من الوقوف على مفردتين وردتا في كلام الإمام المجتبى عليه السلام المتقدم ذكره في أعلاه، وهما «العفة، والحرص»؛ لأنهما تشكلان المحور الأساس الذي يدور حوله الكلام، فمعنى قوله عليه السلام: «**ليست العفة بدافعة رزقًا...**» متوقف على معرفة معنى العفة

(١) سورة البينة: آية ٨.
(٢) سورة الرحمن: آية ٤٦.
(٣) سورة النازعات: آية ٤٠ - ٤١.

لغـة واصطلاحًـا، وإليـك بيـان ذلـك:

العفة لغةً واصطلاحًا

العفة لغةً:

العفة مصدر قولهم عف عن الشيء يعف عفة، وهذا مأخوذ من مادة (ع ف ف) التي تدل على «الكف عن القبيح»[١].

ويقال: عف عن الحرام يعف عفًا وعفة وعفافًا وعفافة، أي كف[٢].

وقال الراغب: أصل العفة الاقتصار على تناول الشيء القليل الجاري مجرى العفافة (أي البقية من الشيء)[٣].

وقال ابن منظور: العفة: الكف عما لا يحل ويجمل، والعفة أيضًا: النزاهة، ويقال: عف عن المحارم والأطماع الدنية[٤].

والعفاف أيضًا: هو الكف عن الحرام والسؤال من الناس، والاستعفاف: طلب العفاف[٥]، وهذا معنى قول الحق تعالى: ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا**﴾[٦]، أي ليضبط نفسه، ولا

(١) ينظر: مقاييس اللغة – لابن فارس – ٤: ٣.
(٢) ينظر: مختار الصحاح، ص٢١٣، مادة ع ف ف.
(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن – الراغب الأصفهاني –: ص٥٧٣.
(٤) ينظر: لسان العرب، ٩: ٢٥٣.
(٥) ينظر: تاج العروس، ٢٤: ١٧٢، مادة ع ف ف.
(٦) سورة النور: آية ٣٣.

يدخل في الفاحشة، ويصبر حتى يوسع الله عليه من رزقه[١].

والاستعفاف أيضًا: الصبر والنزاهة عن الشيء[٢].

ويقال: رجل عف وعفيف، والأنثى بالهاء، وجمع العفيف: أعفة وأعفاء، وقيل: العفيفة من النساء السيدة الخيرة.

وقيل: هي عفة الفرج، ونسوة عفائف، ورجل عفيف أيضًا معناه عف عن المسألة والحرص، وقيل في وصف قوم: أعفة الفقر. أي إنهم إذا افتقروا لم يغشوا المسألة القبيحة[٣].

العفة اصطلاحًا:

عرفها النراقي في (جامع السعادات)، بأنها: «انقياد القوة الشهوية للعاقلة في ما تأمرها به، وتنهاها عنه حتى تكتسب الحرية، وتتخلص عن أسر عبودية الهوى»[٤].

وعرفها في موضع آخر، فقال: هي: «عبارة عن ملكة انقياد القوة الشهوية للعقل حتى يكون تصرفها مقصورًا على أمره ونهيه، فيقدم على ما فيه المصلحة، وينزجر عما يتضمن المفسدة بتجويزه، ولا يخالفه في أوامره ونواهيه»[٥].

---

(١) ينظر: تفسير مجمع البيان - الشيخ الطوسي - ٧: ٢٤٥.
(٢) لسان العرب، ٩: ٢٥٣، فصل العين المهملة.
(٣) ينظر: المصدر نفسه.
(٤) جامع السعادات - ملا محمد مهدي النراقي -: ص٧٠.
(٥) المصدر نفسه، ص٨٧.

وقال الراغب: «العفة حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة، والمتعفف هو المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر»[١].

وقال الجرجاني: «العفة هي هيأة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوة والخمود الذي هو تفريطه. فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة»[٢].

وللعفة منشأ فطري، فقد حفلت الروايات بذلك، وأشارت إلى أنها من الأمور الفطرية، ومن لوازم الفطرة لدى الإنسان، وهي تظهر على الإنسان وحركاته على نحو جلي وواضح، إذ بمجرد تعرضه لحادث أو أمر حرج، فإن العفة تظهر عليه تلقائيًا من دون حاجة إلى التعلم والاكتساب.

فالعفة تشكل إحدى الفضائل الخلقية، وتعد واحدة من أمهات الفضائل الأربع (العفة، الشجاعة، الحكمة، والعدالة).

والعفيف هو المجتنب عن المحرمات، لا سيما ما يتعلق منها بالبطن والفرج، والمتعفف إما تأكيد، كقولهم: ليل أليل أو العفيف عن المحرمات المتعفف عن المكروهات؛ لأنه أشد، فيناسب هذا البناء أو العفيف في البطن المتعفف في الفرج أو العفيف عن الحرام المتعفف عن السؤال كما قال تعالى: ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ**﴾[٣]، أو العفيف خلقًا المتعفف تكلفًا؛ فإن العفة قد تكون عن بعض المحرمات

(١) المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني -:ص٣٣٩.
(٢) التعريفات - للجرجاني -: ص١٥١.
(٣) سورة البقرة: آية ٢٧٣.

خلقًا طبعيًا وعن بعضها تكليفًا [١].

وأغلب الأخبار والروايات تشير إلى عفة البطن والفرج، وكفهما عن مشتهياتهما المحرمة، ويدل على أنهما من أفضل العبادات لكونهما أشقهما على النفس، وملازمة النفس لهذه المشتهيات منذ الصغر حتى صارت جزءًا منه؛ ولهذا يشق عليه مجاهدة نفسه، وقد ورد عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: «إن أفضل العبادة عفة البطن والفرج»[٢].

فعلى الفرد المسلم أن يراعي عدة أمور في تحصيل المال، منها:

١ - أن يكف نفسه عما لا يحل مهما كان محببًا وجميلًا.

٢ - أن يمنع نفسه من طلب المزيد من أي شيء.

٣ - أن يرضى بالقليل من العطاء.

هذا، وللعفة آثار تحصل متى ما ابتعد الإنسان عن جمع المال بالطرق غير الشرعية، واقتنع بالقليل مما رزقه الله تعالى، وأعظم آثارها استجابة الدعاء؛ لأن الكسب الحرام يحول دون استجابة الله عز وجل لدعاء من يدعوه، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من أكل لقمة حرام لم تقبل له صلاة أربعين ليلة، ولم تستجب له دعوة أربعين صباحًا، وكل لحم ينبته الحرام فالنار أولى به، وإن اللقمة الواحدة تنبت اللحم»[٣].

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ٦٨: ٤٠٦.

(٢) الكافي، ٢: ٧٩، باب العفة.

(٣) بحار الأنوار، ٦٣: ٣١٤.

فالعفة إذن تمنع الغش والسحت وكل أنواع الكسب الحرام، وبذلك يؤدي كل فرد عمله وواجباته في إطار المباحات.

أنواع العفة

وللعفة أنواع عدة، منها: عفة البطن، وعفة الفرج، وعفة الحواس، وعفة النفس، وعفة الجوانح.

فعفة البطن تكون بمنعها من تناول كل ما هو محرم، وعفة الفرج تكون بالابتعاد عن الزنى بكل أنواعه، وعفة الحواس تكون بالامتناع عن الاستماع للكلام الفاحش الذي لا يمت لأخلاق الإسلام بصلة، إضافة إلى غض البصر عن كل ما حرمه الله سبحانه، وعفة النفس تكون بمنع النفس عن الفجور، وعفة الجوانح تكون بمنع النفس عن الحقد والحسد وما شاكلها.

ومن جميع ما تقدم يظهر معنى قوله عليه السلام: «ليست العفة بدافعة رزقًا...» بأن كل إنسان يحصل على ما قدر له، سواء سعى إليه جاهدًا أو لم يسع إليه، فإن يكن عفيفًا فلا يعني ذلك حرمانه الرزق، فحسن ثقة العبد بتدبير الله عز وجل أرزاق الخلق مع الإجمال في الطلب؛ فإن رزق الله لهم من حيث لا يحتسبون أكثر من رزقه لهم وهم يحتسبون وقتًا لذلك الرزق، كما قال الحق تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾[1]، فإذا انسد على ذلك العبد باب الرزق انتظر الرزق المقدر له من دون ريب أو اضطراب قلب،

(١) سورة الطلاق: آية ٢ - ٣.

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «أبى الله عز وجل إلا أن يجعل أرزاق المؤمنين من حيث لا يحتسبون»[١].

فالعفة سبب في سعة الرزق وتفريج الكرب، وخير شاهد على ذلك ما حصل مع كليم الله موسى عليه السلام لما خرج من مصر خائفًا بعد أن قتل رجلًا عن غير قصد.. فقد كان عفيفًا وأمينًا مع المرأتين اللتين سقى لهما عندما ورد ماء مدين، فسقى لهما ولم يطل معهما الحديث، وتعفف عن طلب أجر ما سقى لهما.. فآمنه الله من الخوف، ورزقه عملًا شريفًا وزوجةً صالحةً.

الحرص لغةً واصطلاحًا

وأما قوله عليه السلام: «... ولا الحرص بجالب فضلًا، فإن الرزق مقسوم واستعمال الحرص استعمال المأثم»، فهو متوقف على بيان معنى الحرص لغة واصطلاحًا.

الحرص لغة:

الحرص لغةً الجشع، وقد حرص على الشيء يحرص بالكسر حرصًا فهو حريص[٢].

والحرص شدة الإرادة والشره إلى المطلوب[٣]، قال الله تعالى: ﴿إِن

(١) جامع أحاديث الشيعة - البروجردي - ١٧: ٣٨.
(٢) مختار الصحاح، ص٧٠.
(٣) لسان العرب، ٧: ١١.

﴿تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ﴾[١]. ويقال حرص المرعى، إذا لم يترك منه شيء؛ وذلك من الباب، كأنه قشر عن وجه الأرض[٢].

إذن، الحرص هو شدة الرغبة والميل إلى شيء معين.

الحرص اصطلاحًا:

والحرص في الاصطلاح: «هو معنى راتب في النفس باعث على جميع ما لا يحتاج إليه ولا يفيده من الأقوال من دون أن ينتهي إلى حد يكتفى به، وهو أقوى شعب حب الدنيا وأشهر أنواعه، ولا ريب في كونه ملكة مهلكة وصفة مضلة، وقد ورد من الأخبار والآيات في ذمه ما لا يخفى على أحد»[٣]، ومثلوا له بأنه كالصحراء المترامية الأطراف وكالأرض الموحشة التي لا حدود لها، فكلما سار فيها الحريص لا يصل إلى غايتها ومنتهاها[٤].

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام تعبير دقيق جدًا في تعريف الحر عندما سئل: ما هو الحرص؟ فقال «هو طلب القليل بإضاعة الكثير»[٥].

والحريص كالمبتلى بمرض الاستسقاء؛ إذ كلما شرب من الماء فإن

(١) سورة النحل: آية ٣٧.
(٢) مقاييس اللغة، ٢: ٤٠.
(٣) مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة - محمد تقي الخراساني - ٧: ٤١٧، وينظر: جامع السعادات، ٢: ٧٧.
(٤) ينظر: جامع السعادات، ٢: ٧٨.
(٥) بحار الأنوار، ٧٠: ١٦٧.

عطشه لا ينطفئ، أو كدودة القز، كما جاء ذلك في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز، كلما ازدادت على نفسها لفًّا كان أبعد لها من الخروج، حتى تموت غمًّا»[١].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن في ما نزل به الوحي من السماء: لو أن لابن آدم واديين يسيلان ذهبًا وفضة لابتغى لهما ثالثًا. يا ابن آدم، إنما بطنك بحر من البحور وواد من الأودية، لا يملأه شيء إلا التراب»[٢].

ورذيلة الحرص تنمو مع تنامي عمر الإنسان كما ورد في الحديث المعروف عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان: الحرص وطول الأمل»[٣].

ذلك أن الإنسان مجبول على حب الشهوات، يقول الحق تعالى: **﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهِ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾**[٤].

فأحد علامات حب الدنيا هو المال والرغبة الكبيرة لتحصيله وتنميته؛ لأنه مجلبة لكثير من الملذات الحياتية ومتعها المختلفة، والتي قد تدفع الإنسان إلى كسب المال كيفما اتفق، سواء بظلم أو غش أو

(١) الكافي، ٢: ١٣٤.
(٢) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ٤: ٤١٨.
(٣) جامع السعادات، ٢: ٧٨.
(٤) سورة آل عمران: آية ١٤.

سرقة أو كذب، أو عن طريق تعاطي الرشوات، أو الربا في المعاملة، فحب الدنيا بالنتيجة يؤدي إلى الوقوع في المنكرات والمحرمات، فالإنسان الذي قبع في قلبه حب الدنيا لا يرى سوى وجه الكسب كيف كان، ولا يبالي من أي جهة تحصل له الدنيا، كل ذلك لأجل الحصول على المال.

والحريص لا يقوى على ردع نفسه وكبح جماحها من الحرص على الدنيا -الذي أدى به إلى طلب المال الحرام- إلا بالعفة والقناعة، حيث يجعل النفس مراعية لتلك التعاليم الدينية والأخلاق السامية في تحصيل المال وغيره.

ومنشأ الحرص هو ضعف الإيمان وسوء الظن بالله، فالحريص يقدم على فعل المحرمات لظنه بأنه محاط بالهلاك من كل جانب، وأنه إذا لم يقدم على فعل تلك الأمور فإنه إما أن يموت جوعًا، أو يفقد ما اكتنزه.

قيل لبعض الحكماء: إن فلانًا جمع مالًا، قال: فهل جمع أيامًا ينفقه فيها؟ قيل: لا، قال: ما جمع شيئًا.

وكتب بعض الحكماء إلى أخ له كان حريصًا على الدنيا: أما بعد فإنك قد أصبحت حريصًا على الدنيا تخدمها، وهي تخرجك عن نفسها بالأعراض والأمراض والآفات والعلل، كأنك لم تر حريصًا محرومًا، أو زاهدًا مرزوقًا، ولا ميتًا عن كثير، ولا متبلغًا من الدنيا باليسير.

وحكي أيضًا أن أعرابيًّا عاتب أخًا له على الحرص، فقال له:

يا أخي أنت طالب ومطلوب، يطلبك من لا تفوته، وتطلب من قد كفيته.

ويتولد من الحرص رذائل عظيمة، منها الذل، والسرقة، والغصب والزنا، والقتل، والهم بالفقر.

أنواع الحرص

الحرص تارة يكون على المال وأخرى على الشرف.

الحرص على المال:

أما الحرص على المال فهو شدة محبته مع شدة طلبه من وجوهه مع الجهد والمشقة ثم لا ينتفع به بل يتركه لمن يرثه بعده، ولو لم يكن في الحرص على المال إلا تضييع العمر الذي يمكن أن يشتري به صاحبه الدرجات العلى والنعيم المقيم لكفى ذلك في ذمه، فالأولى طلب رزق مضمون مقسوم لا يأتي منه إلا ما قدر وقسم لعدم ضياعه وضياع عمر الطالب له.

روي عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: «إن الشيطان يدير ابن آدم في كل شيء، فإذا أعياه جثم له عند المال فأخذ برقبته»[1].

وعن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم، وهما مهلكاكم»[2].

(١) الكافي، ٢: ٣١٥.
(٢) المصدر نفسه، ٢: ٣١٦.

أو شدة محبة المال مع شدة طلبه من الوجوه المحرمة ومنع الحقوق الواجبة.

الحرص على الشرف:

وأما الحرص على الشرف فهو طلب الشرف بالولاية والسلطان والمال، وهذا أخطر من سابقه، فهو يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها وعزها، قال تعالى: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[1] وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما ذئبان ضاريان في غنم قد غاب عنها رعاؤها أحدهما في أولها والآخر في آخرها بأضر فيها من حب المال والشرف في دين المسلم»[2].

وقل من يحرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات فيوفق، حيث صرحت الروايات بهلاك من يحرص على ذلك، فروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «من طلب الرئاسة هلك»[3].

وعن أبي الربيع عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي: «ويحك يا أبا الربيع لا تطلبن الرئاسة، ولا تكن ذئبًا، ولا تأكل بنا الناس فيفقرك الله»[4].

---

(١) سورة القصص: آية ٨٣.
(٢) وسائل الشيعة - الحر العاملي - ١١: ٣١٩، ب ٦٥، ح١.
(٣) بحار الأنوار، ٧٠: ١٥٠.
(٤) الكافي، ٢: ٢٩٨.

وحب الشرف بطلب الولايات لمجرد علو المنزلة على الخلق، والتعاظم عليهم، وإظهار صاحب هذا الشرف حاجة الناس وافتقارهم إليه وذلهم في طلب حوائجهم منه، هو مزاحمة لربوبية الله عز وجل وإلهيته، وربما يختلق بعض هؤلاء ما يوقع الناس في أمر يحتاجون فيه إليه ليضطرهم بذلك إلى رفع حاجاتهم إليه وظهور افتقارهم واحتياجهم إليه، فيتعاظم بذلك ويتكبر به.

فهذا النوع من الحرص أصعب وأخطر من مجرد الظلم.

ومن يحرص على الشرف والسلطان يحب أن يثنى عليه ويحمد على ما لم يفعل، وربما فعل ولكن كان فعله إلى الذم أقرب منه إلى المدح، وإذا لم يجد حامدين طلب من الناس ذلك، وربما تصل النوبة إلى إيذاء من لا يجيب طلبه، وهذا يدخل في قوله: ﴿**لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[1].

أو إن الحرص على الشرف يكون بطلب الشرف على الناس بالأمور الدينية، وهذا أشد إفسادًا من الأول وأخطر، فإن العلم والعمل والزهد إنما يطلب به ما عند الله من الدرجات العلى والنعيم المقيم.

فمن ذلك: أن يطلب العبد بالعلم والعمل والزهد الرياسة على الخلق والتعالي عليهم.

ومنه: الجرأة على الفتيا، والحرص عليها، والمسارعة إليها، والإكثار

(١) سورة آل عمران: آية ١٨٨.

منها .

ومنه: الدخول على الملوك والدنو منهم، وهو الباب الذي يدخل منه علماء الدنيا إلى نيل الشرف والرياسات فيها.

ومنه: محبة الشهرة والسعي إليها.

وقد تبين بما ذكرناه أن حب المال والرياسة والحرص عليهما يذهب بدين المرء ويفسده، حتى لا يبقي له باقية.

فالحريص ينافس في الأموال والرفعة والعلو في الدنيا، والعفيف ينافس في العلو الدائم الباقي والقرب إلى الله عز وجل، ويعرض عن العلو الفاني الزائل الذي يستلزم غضب الله وسخطه، فضلًا عن انحطاط العبد وسفوله، قال الله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَن طَغَى ۞ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ۞ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾[1].

(١) سورة النازعات: آية ٣٧ - ٤١.

وخلاصة الكلام:

قول الإمام الحسن عليه السلام: «**ليست العفة بدافعة رزقًا، ولا الحرص بجالب فضلًا، فإن الرزق مقسوم واستعمال الحرص استعمال المأثم**»، معناه أن كل إنسان يحصل على ما قدر له، سواء سعى إليه جاهدًا أم لم يسع إليه، فإن يكن عفيفًا فلا يعني ذلك حرمانه الرزق، وإن من يسعى تكاثرًا وحرصًا على الدنيا، ويجزع على ما فاته منها مستقلًا لما في يديه منها، ولا يبالي ما ذهب من دينه إذا سلمت دنياه، ولا يبالي من أين اكتسب؟ وفيم أنفق؟ فيصبح وما شبع، ويمسي وما قنع، فحرصه ما جر نفعًا عليه، ولا جلب رزقًا له، بل أورده المهالك، وقيده بالسيئات والآثام.

❁❁❁

الحديث الخامس

حديث البخل

البخل وآثاره السلبية

من كلام له عليه السلام في ذم البخل، قال عليه السلام: «البخل جامع للمساوئ والعيوب، وقاطع للمودات من القلوب».

لقد حث الله عز وجل عباده في غير موضع من القرآن الكريم على ما يحسن الأخلاق ويقرب القلوب، فقال عز من قائل: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، وقال تعالى أيضًا: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٣٣ – ١٣٤.
(٢) سورة الشورى: آية ٤٠.
(٣) سورة آل عمران: آية ١٥٩.

وجاء على لسان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام جريًا على ما أصله القرآن الكريم في الحث على التخلق بالأخلاق الحسنة التي من شأنها تقريب القلوب وإحكام آصرة المودة بينها، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «عليكم بمكارم الأخلاق، فإن الله عز وجل بعثني بها، وإن من مكارم الأخلاق أن يعفو الرجل عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، وأن يعود من لا يعوده».

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «حسن الخلق من أفضل القسم وأحسن الشيم»، وقال عليه السلام: «حسن الخلق يزيد في الرزق، ويؤنس الرفاق».

ونجد الإمام الصادق عليه السلام يقول: «إن البر وحسن الخلق يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار».

فإذا سر العاقل أن يكون محبوبًا ومحترمًا عند الناس، فما عليه إلا أن يكون ملتزمًا بحسن الخلق، فإن ذلك يثبت المودة في قلوب الناس، وهذا ما أكده نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «حسن الخلق يثبت المودة».

وها نحن بصدد شرح كلام الإمام الحسن عليه السلام الذي سلط الضوء فيه على عادة ذميمة اتفقت كل الأديان والشرائع على ذمها، ألا وهي عادة (البخل) والتي أقل ما يقال في وصفها: إنها خلق ذميم، هذا فضلًا عن أنها عادة مناقضة لطبيعة الإنسان أيما تناقض؛ لكونه اجتماعيًّا بالطبع، ولكونه كذلك فهذه الصفة الذميمة تمنع من اجتماعه مع الآخر.

ومن مخاطر البخل على المجتمع أنه لو استشرى بين أوصاله لحوله من مجتمع متضامن قوي إلى مجتمع أناني متفتت.

ولما كان للبخل آثار سلبية تعود على الفرد والأسرة والمجتمع بما يعكر صفو الحياة في مختلف الأصعدة سيما الصعيد الديني، حذر الإمام المجتبى عليه السلام من هذه العادة الذميمة، وبين أثرها في تباعد القلوب وقطع المودات بينها، بقوله عليه السلام: «البخل جامع للمساوئ والعيوب، وقاطع للمودات من القلوب»، فاقتضى ذلك منا الوقوف على بعض المفردات والفقرات لبيان ما يلزم بيانه منها، ليتضح لنا ما كان ضروريًّا إيضاحه في هذا المقام، لذا سرت في شرح الحديث على وفق المطالب الآتية:

البخل لغةً واصطلاحًا

البخل لغةً:

البخل والبخل بالفتح والبخل بفتحتين والبخل بضمتين، كله بمعنىً واحد، وقد بخل بكذا: أي ضن بما عنده ولم يجد، ويقال: هو بخيل وباخل، وجمعه بخلاء، وقولهم (أبخله): وجده بخيلًا. وجعله بخيلًا. و(بخله): رماه بالبخل. وجعله بخيلًا. و(استبخله): عده بخيلًا. و (البخال): الشديد: البخل)[1].

والبخل منع وإمساك، وهو ضد الكرم والجود، مصدر بخل يبخل

(١) ينظر: مختار الصحاح (١/ ٧٣)، والمعجم الوسيط (١/ ٤١ - ٤٢).

بخلًا وبخلًا، ورجل بخيل وبخال ومبخل، والبخلة بخل مرة واحدة، وجمع البخيل: بخلاء، ورجل باخل: ذو بخل، ورجال باخلون، وأبخلت فلانًا: وجدته بخيلًا، وبخلت فلانًا: نسبته إلى البخيل[١]، والشحّ: هو البخل مع الحرص، ويقال: تشاحّ الرجلان على الأمر، إذا أراد كل واحد منهما الفوز به ومنعه من صاحبه[٢]، وقيل: البخل هو نفس المنع، والشح: الحالة النفسية التي تقتضي ذلك المنع[٣].

وذكر الثعلبي في (فقه اللغة) أوصاف البخيل مرتبةً، فقال: «رجل بخيل ثم مسك: إذا كان شديد الإمساك لماله، ثم لحز: إذا كان ضيق النفس شديد البخل، ثم شحيح: إذا كان مع شدة بخله حريصًا، ثم فاحش: إذا كان متشددًا في بخله، ثم حلز: إذا كان في نهاية البخل»[٤].

البخل اصطلاحًا:

قال الراغب الأصفهاني: «البخل: إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه»[٥].

وقال الجرجاني: «البخل هو المنع من مال نفسه»[٦].

والبخل هو المنع عن بسط فضل الله ورحمته، والإمساك عن نشر

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة ١: ٢٠٧، مختار الصحاح ص٧٣، لسان العرب ١١: ٤٧.
(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة ٣: ١٧٨.
(٣) ينظر: الكليات لأبي البقاء ص٣٦١.
(٤) ينظر: فقه اللغة ص ١٦١.
(٥) مفردات القرآن - للراغب الأصفهاني - (١/ ١٠٩).
(٦) التعريفات- للجرجاني - (ص٤٢).

آثار نعمه وآلائه في عباده، مع الغفلة عن أن كل نعمة من الله المتعال.

والبخل يدل على اغترار العبد ومحجوبيته التامة، ومحدودية فكره في ما يتعلق بالحياة الدنيا، والسد عن بسط فضل الله ورحمته.

وفي بيان وجه الفرق بين الشح والبخل: فإن البخل منع الحق فلا يقال لمن يؤدي حقوق الله تعالى بخيلًا، والشح الحرص على منع الخير، ويقال: زيد شحاح، إذا لم يور نارًا وإن أشح عليه بالقدح كأنه حريص على منع ذلك، وقد يفرق بينهما بأن الشح: البخل مع حرص، فهو أشد من البخل.

وقيل: الشحّ: اللؤم، وأن تكون النفس حريصةً على المنع.

وقد وصفت النفس به في قوله تعالى: ﴿**وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ**﴾؛ لأنه غريزة فيها.

وقال الإمام الحسن عليه السلام لما سئل عن معناه: «هو أن يرى الرجل ما أنفقه تلفًا، وما أمسكه شرفًا».

وفي الفرق بين البخل والشح روي عن الفضل بن أبي قرة السمندي أنه قال: «قال أبو عبد الله صلوات الله عليه: أ تدري من الشحيح؟ قلت: هو البخيل، فقال: الشح أشد من البخل! إن البخيل يبخل بما في يده والشحيح يشح بما في أيدي الناس وعلى ما في يديه حتى لا يرى في أيدي الناس شيئًا إلا تمنى أن يكون له بالحل والحرام ولا يقنع بما رزقه الله عز وجل».

ألفاظ ذات صلة

وهناك مصطلحات قريبة من مصطلح البخل، أهمها:

الشح: وهو في اللغة حرص النفس على ما ملكت وبخلها به، فهو بخل مع حرص، وذلك في ما كان عادةً. قال سبحانه: ﴿**وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ**﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ**﴾[٢].

ويقال: رجل شحيح، وقوم أشحة، قال سبحانه: ﴿**أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ**﴾[٣].

والشح اصطلاحًا: «هو الحالة النفسية التي تقتضي منع الإنسان ما في يده، أو في يد غيره»، ولا شك أنه يشمل منع كل بر أو معروف؛ مالًا أو غيره.

ومما يرادف البخل أيضًا:

الإمساك: وكني عن البخل بالإمساك، قال سبحانه: ﴿**قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ**﴾[٤].

القتر: تقليل النفقة، وهو بإزاء الإسراف، وكلاهما مذمومان، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾[٥]،

(١) سورة النساء: آية ١٢٨.
(٢) سورة الحشر: آية ٩.
(٣) سورة الأحزاب: آية ١٩.
(٤) سورة الإسراء: آية ١٠٠.
(٥) سورة الفرقان: آية ٦٧.

ورجل قتور ومقتر، وقوله سبحانه: ﴿**وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا**﴾[١]، تنبيه على ما جبل عليه الإنسان من البخل، كقوله تعالى: ﴿**وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ**﴾[٢]، وقد قترت الشيء وأقترته وقترته، أي : قللته.

الضنة : هو البخل بالشيء النفيس، ولهذا قيل: علق مضنة ومضنة، وفلان ضني بين أصحابي، أي: هو النفيس الذي أضن به.

قال تعالى: ﴿**وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ**﴾[٣].

الهلع : إظهار شدة الجزع عند المصائب، والبخل عند المسار.

المنع : المنع يقال في ضد العطية، يقال: رجل مانع ومناع. أي: بخيل. قال الله تعالى: ﴿**وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿**مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ**﴾[٥].

وتحصل مما تقدم أن هذه الألفاظ بأجمعها ألفاظ مرادفة لمعنى البخل وهي تؤدي المعنى نفسه.

---

(١) سورة الإسراء: آية ١٠٠.
(٢) سورة النساء: آية ١٢٨.
(٣) سورة التكوير: آية ٢٤.
(٤) سورة الماعون: آية ٧.
(٥) سورة القلم: آية ١٢.

أصناف البخل وصوره

للبخل أصناف شتى وصور كثيرة، منها :

١- البخل بالمال:

ويمكن تقسيمه إلى أقسام ثلاثة:

أ- بخل الإنسان بما لا يضره ولا ينفعه: كمن يضيق بإعطاء شيء لا يضره إن بذله ولا ينفعه إن منعه، كبخل أحدهم بإعطاء ثوب رث خلق هو في غنىً عنه لمن تمسه الحاجة إليه، فمثل هذا لا ينفعه إن امتنع من إعطائه ولا يضره إن بذله.

روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مر على امرأة، وهي تبكي على ولدها، وهي تقول: الحمد لله، مات شهيدًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كفي أيتها الإمرأة، فلعله كان يبخل بما لا يضره، ويقول في ما لا يعنيه»[1].

ب - بخله على غيره بمال غيره: كمن يبخل بإعطاء شيء ليس من ماله لغيره لا يضره إن بذله، كبخل من أوكل إليه بذل الطعام وتوزيعه على عشرة فقراء، فيبذل لاثنين منهم، ويحرم الآخرين.

ج - (بخله على نفسه بمال غيره، وهو أقبح الثلاثة، والباخل بما بيده باخل بمال الله على نفسه وعياله؛ إذ المال عارية بيد الإنسان مستردة، ولا أحد أجهل ممن لا ينقذ نفسه وعياله من العذاب الأليم

(١) مستدرك الوسائل – الطبرسي – ٩ : ٢٦.

بمال غيره، سيما إذا لم يخف من صاحبه تبعةً ولا ملامةً، والكفالة الإلهية متكفلة بتعويض المنفق، ففي الخبر: اللهم اجعل لمنفق خلفًا، ولممسك تلفًا، ومن وسع وسع الله عليه)[١].

٢ - البخل بغير المال:

ويمكن تقسيمه أيضًا إلى خمسة أقسام:

أ- البخل بالنفس : كمن يبخل بنفسه على الله عز وجل فلا يبذلها دفاعًا عن الإسلام ومقدساته، وهو يرى بناظريه، ويسمع بأذنيه حرمة الدين التي تنتهك بالإعتداء على المقدسات وسفك الدماء وهتك الأعراض ونهب الأموال، ولم يحرك ساكنًا، كل ذلك سببه التعلق بالدنيا والحرص عليها الذي تمخضت عنه كراهية الموت.

ب- البخل بالجاه: كصاحب الجاه والمنصب، فلا يشفع إن التمست منه الشفاعة، ولا يصلح إن طلب منه الإصلاح، ولا يسعى في قضاء حاجة فقير أو مسكين لجأ إليه في قضائها.

روي عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: «ما من مؤمن بذل جاهه لأخيه المؤمن إلا حرم الله وجهه على النار، ولم يمسه قتر ولا ذلة يوم القيامة، وأيما مؤمن بخل بجاهه على أخيه المؤمن وهو أوجه جاهًا منه إلا مسه قتر وذلة في الدنيا والآخرة، وأصابت وجهه يوم القيامة نفحات النيران، معذبًا كان أو مغفورًا له»[٢].

---

(١) فيض القدير، للمناوي: ٥: ١٠٣١.

(٢) الأمالي – للشيخ الطوسي – ص٦٧٠.

ج – البخل بالعلم: كمن حبس علمه عن الناس بكتمه عمن يحتاجه، فلا يعلم ولا يرشد ولا ينصح، وقد قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا**﴾[1]. وروي في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «علماء هذه الأمة رجلان: رجل آتاه الله علمًا فبذله للناس، ولم يأخذ عليه طعمًا، ولم يشتر به ثمنًا، فذلك يستغفر له حيتان البحر، ودواب البر، والطير في جو السماء، ويقدم على الله سيدًا شريفًا حتى يرافق المرسلين، ورجل آتاه الله علمًا فبخل به عن عباد الله، وأخذ عليه طعمًا، وشرى به ثمنًا فذلك يلجم يوم القيامة بلجام من نار، وينادي مناد: هذا الذي آتاه الله علمًا، فبخل به عن عباد الله، وأخذ عليه طعمًا، واشترى به ثمنًا، وكذلك حتى يفرغ من الحساب»[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «إن النار لا ينقصها ما أخذ منها، ولكن يخمدها أن لا تجد حطبًا، وكذلك العلم لا يفنيه الاقتباس لكن بخل الحاملين له سبب عدمه»[3].

د – البخل بالسلام: كمن يبخل بتحية الإسلام على المسلمين، مع أن ذلك لا يكلفه إلا فتح شفتيه وتحريك لسانه، وقد روي في ذلك عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن أبخل الناس من بخل بالسلام»[4]، وهذا من أرذل أنواع البخل.

---

(١) النساء: ٣٧.
(٢) منية المريد – للشهيد الثاني – ص١٣٦.
(٣) ميزان الحكمة – للريشهري – ٣ : ٢٠٧٥.
(٤) مستدرك الوسائل – للطبرسي – ٨ : ٣٥٨.

روي فيه أيضًا عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إن الله عز وجل قال: البخيل من بخل بالسلام»[١].

هـ – البخل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا يخفى على مسلم في شرق الأرض ومغربها أن الصلاة على النبي وآله الأطهار (صلوات الله عليهم) تعد من أفضل العبادات وأجل القربات، وهي مما أمر الله تعالى به عباده المؤمنين، حيث قال عز ذكره: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[٢].

هذا فضلًا عن مضاعفة أجر المصلي عليه وآله (صلوات الله عليهم)، وأنها سبب لغفران الذنوب، وذلك في ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام، أنه قال: «من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله، فإنها تهدم الذنوب هدمًا، وقال عليه السلام: الصلاة على محمد وآله تعدل عند الله عز وجل التسبيح والتهليل والتكبير»[٣].

وقد ورد في بعض الأخبار أن الصلاة على محمد وآله مفتاح لقضاء الحوائج في الدنيا والآخرة، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من قال [في يوم الجمعة] مائة مرة رب صل على محمد وعلى أهل بيته، قضى الله له مائة حاجة ثلاثون منها للدنيا»[٤].

فالبخل بالصلاة على النبي وآله إنما هو في حقيقة الأمر حرمان

(١) وسائل الشيعة – للحر العاملي – ١٢ : ٥٨.
(٢) سورة الأحزاب: آية ٥٦.
(٣) عيون أخبار الرضا – للشيخ الصدوق – ص٢٦٥.
(٤) وسائل الشيعة، ٧ : ٣٨٧.

النفس من الفيوضات الإلهية في تلك الصلاة، فقد روي - في من ذكر اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنده، ولم يصلِّ عليه، بأنه البخيل كل البخيل- قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن البخيل كل البخيل الذي إذا ذكرت عنده لم يصل علي»[1]، حرصًا منه صلى الله عليه وآله وسلم على أن تنال أمته بالصلاة عليه وعلى آله تلك الفيوضات الإلهية.

الآيات الواردة في البخل

١- منها قوله سبحانه: ﴿**ولا يحسبنَّ الذينَ يبخلونَ بما آتاهمُ اللهُ مِن فضلهِ هوَ خيرًا لهُم بَل هوَ شرٌّ لهُم سَيطوّقونَ ما بخِلُوا بهِ يومَ القيامةِ وللهِ ميراثُ السّماواتِ والأرضِ واللهُ بمَا تعملونَ خبيرٌ**﴾.

«لما بين حال إملاء الكافرين -وكان الحال في البخل بالمال وعدم إنفاقه في سبيل الله مثله فإن البخيل فرح فخور بما يجمعه من المال- عطف تعالى الكلام إليهم، وبين أنه شر لهم، وفي التعبير عن المال بقوله بما آتاهم الله من فضله إشعار بوجه لومهم وذمهم، وقوله: سيطوقون.. إلخ في مقام التعليل لكون البخل شرًّا لهم، وقوله: ولله ميراث السماوات الظاهر أنه حال من يوم القيامة، وكذا قوله والله بما تعملون خبير»[2].

٢- ومنها قوله سبحانه: ﴿**الذينَ يبخلونَ ويأمرونَ النّاسَ بالبُخلِ ويكتمونَ ما آتاهمُ اللهُ مِن فضلهِ وأعتدنَا للكافرينَ عذابًا مُهينًا**﴾.

---

(١) الإرشاد - للشيخ المفيد - ٢ : ١٦٩.

(٢) الطباطبائي، تفسير الميزان ج٤/ ص٨٠.

«إن الانشداد العميق لزخارف الدنيا ينتج التكبر والغرور، ولازم التكبر والغرور هو البخل ودعوة الآخرين للبخل.

أما البخل فلأن التكبر والغرور كثيرًا ما يكون بسبب ثراء الإنسان الذي يدفعه إلى أن يحرص عليه، فيبخل في إنفاقه، ومن هنا فإن لازم الغرور والتكبر هو البخل.

أما دعوة الآخرين إلى البخل، فلأن سخاء الآخرين سيفضح غيرهم من البخلاء، هذا أولًا، والثاني أن البخيل يحب البخل، لذا فإنه يدعو للشيء الذي يرغب فيه»[1].

٣- ومنها قوله سبحانه: ﴿**ومِنهُم مَن عاهدَ اللهَ لئِن آتانا مِن فضلِهِ لنَصدّقنَّ ولنكونَنَّ مِنَ الصّالحينَ۞فلمَّا آتاهُم مِن فضلِهِ بخِلُوا بهِ وتولّوا وهُم مُعرِضونَ۞فأعقبَهُم نِفاقًا في قلوبِهِم إلى يومِ يلقونَهُ بمَا أخلَفُوا اللهَ مَا وعدوهُ وبمَا كانُوا يكذبونَ۞ألَم يعلمُوا أنَّ اللهَ يعلمُ سِرّهُم ونجواهُم وأنَّ اللهَ علّامُ الغيوبِ**﴾.

«هذه الآيات في الحقيقة تضع إصبعها على صفة أخرى من صفات المنافقين السيئة، وهي أن هؤلاء إذا مسهم البؤس والفقر والمسكنة عزفوا على وتر الإسلام بشكل لا يصدق معه أحد أن هؤلاء يمكن أن يكونوا يومًا من جملة المنافقين، بل ربما ذموا ولاموا الذين يمتلكون الثروات والقدرات الواسعة على عدم استثمارها في خدمة المحرومين ومساعدة المحتاجين! إلا أن هؤلاء أنفسهم، إذا تحسن وضعهم المادي

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل، ج١٨/ ص٧٠.

فإنهم سينسون كل عهودهم ومواثيقهم مع الله والناس، ويغرقون في حب الدنيا، وربما تغيرت كل معالم شخصياتهم، ويبدؤون بالتفكير على نحو آخر وبمنظار مختلف تمامًا، وهكذا يؤدي ضعف النفس هذا إلى حب الدنيا والبخل وعدم الإنفاق وبالتالي يكرس روح النفاق فيهم على نحو يوصد أمامهم أبواب الرجوع إلى الحق.

فالآية الأولى تتحدث عن بعض المنافقين الذين عاهدوا الله على البذل والعطاء لخدمة عباده إذا ما أعطاهم الله المال الوفير، ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين.

إلا أنهم يؤكدون هذه الكلمات والوعود ما دامت أيديهم خاليةً من الأموال، فلما آتاهم من فضله بخلوا به، وتولوا وهم معرضون غير أن عملهم هذا ومخالفتهم للعهود التي قطعوها على أنفسهم بذرت روح النفاق في قلوبهم، وسيبقى إلى يوم القيامة متمكنًا منهم، فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقونه، وإنما استحقوا هذه العاقبة السيئة غير المحمودة بما أخلفوا الله ما وعدوه، وبما كانوا يكذبون.

وفي النهاية وبخت الآية هؤلاء النفر ولامتهم على النوايا السيئة التي يضمرونها، وعلى انحرافهم عن الصراط المستقيم، واستفهمت بأنهم ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب؟»[1].

٤- ومنها قوله سبحانه: ﴿**إِنَّمَا الحياةُ الدّنيا لعبٌ ولهوٌ وإن تُؤمِنُوا وتتَّقُوا يُؤتِكُم أجورَكُم ولا يسئَلُكُم أموالَكُم ۞ إن يسئلكمُوهَا فيحُفكُم**

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير الكتاب المنزل، ج٦/ ص١٣٤.

تبخلُوا ويُخرِجُ أضغانَكُم ۞ ها أنتُم هؤلاءِ تُدعَونَ لتُنفِقُوا في سبيلِ الله فمِنكُم مَن يبخَل ومَن يبخَل فإنّما يبخلُ عَن نفسِهِ واللهُ الغنيُّ وأنتُمُ الفُقراءُ وإن تتولّوا يستبدِل قومًا غيرَكُم ثُمَّ لا يكونُوا أمثالَكُم﴾.

«الإحفاء الإجهاد وتحميل المشقة، والمراد بالبخل - كما قيل - الكف عن الإعطاء، والأضغان الأحقاد.

والمعنى: إن يسألكم جميع أموالكم، فيجهدكم بطلبها كلها كففتم عن الإعطاء لحبكم لها، ويخرج أحقاد قلوبكم فضللتم.

قوله تعالى: ﴿**ها أنتُم هؤلاءِ تُدعونَ لتُنفِقُوا في سبيلِ الله فمِنكُم مَن يبخلُ**..﴾ إلى آخر الآية بمنزلة الاستشهاد في بيان الآية السابقة، كأنه قيل: إنه إن يسأل الجميع فيحفكم تبخلوا، ويشهد بذلك أنكم أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله - وهو بعض أموالكم - فبعضكم يبخل، فيظهر به أنه لو سئل لبخلتم.

وقوله: ﴿**ومَن يَبخَل فإنّما يبخلُ عَن نفسِهِ**﴾ أي يمنع الخير عن نفسه، فإن الله لا يسأل مالهم لينتفع هو به، بل لينتفع به المنفقون في ما فيه خير دنياهم وآخرتهم، فامتناعهم عن إنفاقه امتناع منهم عن خير أنفسهم، وإليه يشير قوله بعده: ﴿**واللهُ الغنيُّ وأنتُم الفقراءُ**﴾ والقصر هو قصر للقلب، أي: الله هو الغني دونكم وأنتم الفقراء دون الله.

وقوله: ﴿**وإن تتولّوا يستبدِل قومًا غيرَكُم ثُمَّ لا يكونُوا أمثالَكُم**﴾ قيل: عطف على قوله: ﴿**وإن تُؤمِنُوا وتتّقُوا**﴾ والمعنى: إن تؤمنوا، وتتقوا يؤتكم أجوركم وإن تتولوا وتعرضوا يستبدل قومًا غيركم بأن يوفقهم

للإيمان دونكم، ثم لا يكونوا أمثالكم بل يؤمنون، ويتقون وينفقون، في سبيل الله»[١].

٥- ومنها قوله سبحانه: ﴿**واللّيلِ إذا يغشَى ۞ والنّهارِ إذا تجلّى ۞ وما خلقَ الذّكرَ والأُنثَى ۞ إنَّ سعيَكُم لشتّى ۞ فأمّا مَن أعطَى واتّقَى ۞ وصدّقَ بالحُسنى ۞ فسنُيسّرهُ لليُسرى ۞ وأمّا مَن بخلَ واستغنَى ۞ وكذّبَ بالحُسَنى ۞ فسُنيسّرُهُ للعُسرى**﴾.

«البخل مقابل الإعطاء، والاستغناء طلب الغنى والثروة بالإمساك والجمع، والمراد بالتكذيب بالحسنى الكفر بالعدة الحسنى وثواب الله الذي بلغه الأنبياء والرسل، ورجع إلى إنكار البعث.

والمراد بتيسيره للعسرى خذلانه بعدم توفيقه للأعمال الصالحة، بتثقيلها عليه وعدم شرح صدره للإيمان أو إعداده للعذاب»[٢].

بواعث البخل

تختلف بواعث البخل وأسبابه من شخص إلى آخر، ومنها ما يأتي:

١ – الجهل: من أسباب حب الإنسان للمال وحرصه عليه هو جهله بأن النفع الحقيقي لا يكون إلا بإنفاقه المال، وليس العكس، فالجهل بفضيلة الإنفاق أو ما يمكن أن يجود به على الآخرين يؤدي لا محالة إلى الامتناع عن الإنفاق والبخل، وناهيك عن كون الإنسان مجبولًا على حب المال؛ الأمر الذي يدفعه إلى التمنع عن دفعه؛ ظنًّا منه

(١) الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٨/ ص٢٤٩.
(٢) المصدر نفسه، ج٢٠/ ص٣٠٣.

أن الخير يكمن في إمساك المال وعدم إنفاقه.

٢ – سوء الظن بالله –عز وجل–: وفيه يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «البخل بالموجود سوء الظن بالمعبود»[١]، في حين أن الله –عز وجل – وعد بالإخلاف على عباده المنفقين في قوله عز من قائل: ﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾، إلا أن البخيل يقينه بالله ضعيف، فوعد الله سبحانه هذا الصنف من الناس بأنهم سيطوقون بما بخلوا به يوم القيامة في قوله جل وعلا: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾[٢].

٣ – الخوف على الأبناء: هو أن يبخل الأبوان بمالهما، ويمنعا إنفاقه في الأعمال الصالحة؛ مقتصرين في ذلك على نفع أبنائهما فحسب.

٤ – الخوف من الفقر: وهو من مداخل الشيطان الذي تقود وساوسه إلى صفات ذميمة أحدها البخل، يقول الله عز وجل: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ**﴾[٣].

---

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج١/ ص٢٣٢.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٠.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٨.

بيان كون البخل جامعًا للمساوئ والعيوب

إن البخل علامة على قلة العقل وسوء التدبير، وهو أصل لنقائص كثيرة، ويدعو إلى خصال ذميمة، ولا يجتمع مع الإيمان، ذلك ما صرح به رسول الإنسانية صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق».. بل من شأنه أن يهلك الإنسان ويدمر الأخلاق، وهو دليل على سوء الظن بالله عز وجل، يؤخر صاحبه، ويبعده عن صفات الأنبياء والصالحين.

وفي الصحيح، عن هشام بن سالم عن أبي بصير، قال:« قلت لأبي جعفر عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعوذ من البخل، فقال: يا أبا محمد في كل صباح ومساء، ونحن نتعوذ من البخل، إن الله يقول: ﴿ومَن يوقَ شُحَّ نفسِهِ فأولئكَ هُمُ المُفلحونَ﴾.

وسأخبرك عن عاقبة البخل، إن قوم لوط كانوا أهل قرية أشحّاء على الطعام، فأعقبهم البخل داءً لا دواء له في فروجهم، فقلت: وما أعقبهم؟ فقال: إن قرية لوط كان على طريق السيارة إلى الشام ومصر فكانت السيارة تنزل بهم فيضيفونهم، فلما كثر ذلك عليهم ضاقوا بذلك ذرعًا بخلًا ولؤمًا، فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضيف فضحوه من غير شهوة بهم إلى ذلك، وإنما كانوا يفعلون ذلك بالضيف حتى ينكل النازل عنهم، فشاع أمرهم في القرية، وحذرهم النازلة، فأورثهم البخلُ بلاءً لا يستطيعون دفعه عن أنفسهم من غير شهوة بهم إلى ذلك حتى صاروا يطلبونه من الرجال في البلاد،

ويعطون عليه الجعل، ثم قال: أي داء أدوى من البخل، ولا أضر عاقبةً ولا أفحش عند الله عز وجل.

قال أبو بصير فقلت له: جعلت فداك: فهل كان أهل قرية لوط كلهم هكذا يعملون؟ فقال: نعم إلا أهل بيت من المسلمين، أما تسمع لقوله تعالى: ﴿**فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: إن لوطًا لبث في قومه ثلاثين سنةً، يدعوهم إلى الله عز وجل، ويحذرهم عذابه، وكانوا قومًا لا يتنظفون من الغائط، ولا يتطهرون من الجنابة، وكان لوط عليه السلام ابن خالة إبراهيم عليه السلام وكان رجلًا سخيًّا كريمًا، يقري الضيف إذا نزل به، ويحذرهم قومه، فلما رأى قوم لوط ذلك منه قالوا له: إنا ننهاك عن العالمين، لا تقرِ ضيفًا ينزل بك، وإن فعلت فضحنا ضيفك الذي ينزل بك، وأخزيناك، فكان لوط عليه السلام إذا نزل به الضيف كتم أمره مخافة أن يفضحه قومه، وذلك أنه لم يكن للوط عليه السلام عشيرة.

قال: لم يزل لوط وإبراهيم عليهما السلام يتوقعان نزول العذاب على قومه، فكانت لإبراهيم وللوط عليهما السلام منزلة من الله عز وجل شريفة، وإن الله عز وجل كان إذا أراد عذاب قوم لوط ذكر مودة إبراهيم وخلته ومحبة لوط، فيراقبهم، فيؤخر عذابهم.

قال أبو جعفر عليه السلام: فلما اشتد أسف الله على قوم لوط عليه السلام وقدر عذابهم، وقضى أن يعوض إبراهيم من عذاب قوم لوط عليه السلام بغلام عليم، فيسلي بهم مصابه بهلاك قوم لوط فبعث الله رسلًا إلى إبراهيم عليه السلام فيبشرونه بإسماعيل عليه السلام فدخلوا عليه ليلًا، ففزع منهم،

وخاف أن يكونوا سرّاقًا، فلما رأته الرسل فزعًا مذعورًا قالوا: سلام، قال: سلامٌ، إنا منكم وجلون، قالوا: لا تَوجل إنّا رسل ربك، نبشرك بغلام عليم، قال أبو جعفر عليه السلام: والغلام العليم إسماعيل من هاجر، فقال إبراهيم للرسل: أ بشرتموني على أن مسني الكبر، فبمَ تبشِّرون؟ قالوا: بشرناك بالحق، فلا تكن من القانطين، قال إبراهيم عليه السلام: فما خطبكم بعد البشارة؟ قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين، قوم لوط إنهم كانوا قومًا فاسقين لننذرهم عذاب رب العالمين.

قال: أبو جعفر عليه السلام: فقال إبراهيم عليه السلام للرسل: إن فيها لوطًا، قالوا: نحن أعلم بمن فيها: لننجينه وأهله أجمعين إلا امرأته قدرنا أنها لمن الغابرين، فلما جاء آل لوط المرسلون قال: إنكم قوم منكرون، قالوا: بل جئناك بما كانوا فيه قومك من عذاب الله يمترون، وأتيناك بالحق لتنذر قومك العذاب وإنا لصادقون، فأسر بأهلك يا لوط إذا مضى لك من يومك هذا سبعة أيام ولياليها بقطع من الليل، ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك، إنه مصيبها ما أصابهم، وامضوا من تلك الليلة حيث تؤمرون.

قال أبو جعفر عليه السلام: فقضوا ذلك الأمر إلى لوط عليه السلام إن دابر هؤلاء مقطوعٌ مصبحين. قال: قال أبو جعفر عليه السلام: فلما كان يوم الثامن مع طلوع الفجر قدَّم عز وجل رسلًا إلى إبراهيم عليه السلام يبشرونه بإسحاق عليه السلام ويعزونه بهلاك قوم لوط، وذلك قوله: ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى، قالوا: سلامًا، قال: سلام، فما لبث أن جاء بعجل، حنيذ، يعني ذكيًّا مشويًّا نضيجًا، فلما رأى إبراهيم أيديهم لا

تصل إليه أنكرهم، وأوجس منهم خيفةً، قالوا: لا تخف، إنا أرسلنا إلى قوم لوط، وامرأته قائمة، فبشروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فضحكت، يعني فتعجبت من قولهم، قالت: يا ويلتى أ ألد وأنا عجوز، وهذا بعلي شيخًا إن هذا لشيء عجيب، قالوا: أ تعجبين من أمر الله، رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت، إنه حميد مجيد.

قال أبو جعفر عليه السلام: فلما جاءت إبراهيمَ البشارةُ بإسحاق، وذهب عنه الروع أقبل يناجي ربه في قوم لوط، ويسأله كشف البلاء عنهم، فقال الله عز وجل: ﴿**يا إِبْراهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هذا إِنَّهُ قَدْ جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ**﴾ وإنهم آتيهم عذابي بعد طلوع الشمس من يوم محتوم وغير مردود»[1].

وفي الصحيح – أيضًا – عن أبي حمزة الثمالي: «عن أبي جعفر عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل جبرئيل: كيف كان مهلك قوم لوط عليه السلام؟ فقال: إن قوم لوط عليه السلام كانوا أهل قرية لا يتنظفون من الغائط، ولا يتطهَّرون من الجنابة، بُخلاء أشحّاء على الطعام...» الحديث[2].

(١) الكافي، باب اللواط خبر ٦ من كتاب النكاح.
(٢) المصدر نفسه.

بيان كون البخل قاطعًا للمودات من القلوب

هذا، وقد تبين من ما تقدم أن البخل عادة ذميمة، بل إن جميع الأديان والشرائع على ذلك، فالبخل يعكر صفو الحياة الزوجية، ويهدد إستقرار الأسر، ويؤدي إلى النفور بين الأصدقاء، والعزلة عن المجتمع.

وتأثير البخل وإنعكاساته السلبية على جميع أفراد الأسرة لا يتوقف عند حد معين، وقد يؤدي بالأفراد إلى سلوك طرق غير شرعية لتوفير احتياجاتهم الضرورية في حال امتنع رب الأسرة عن تلبيتها لا لشيء سوى أنه يشعر أنه سوف يحتاج إلى كل دينار يمتنع الآن عن صرفه، وأن من حوله سوف يبخلون عليه حين يكبر في السن أو يمرض أو يلازم الفراش؛ لهذا يقرر البخل عليهم قبل أن يبخلوا هم عليه في المستقبل، الأمر الذي يؤدي بالنتيجة إلى تحطم العلاقة بين الأب البخيل وأبنائه وزوجته بتذمرهم الدائم من تصرفاته التي ترهقهم نفسيًّا واجتماعيًّا، وكذلك فقدان الثقة بين أفراد الأسرة نتيجة النقص في الإشباعات الرئيسة لديهم، وبروز المشاكل الاجتماعية كالطلاق وتفكيك الأسرة.

خلاصة الكلام:

قال عليه السلام: «البخل جامع للمساوئ والعيوب، وقاطع للمودات من القلوب».

إن البخل هو أصل لنقائص كثيرة، ويدعو إلى خصال ذميمة، ولا يجتمع مع الإيمان، بل من شأنه أن يهلك الإنسان، ويدمر أخلاقه كما أنه دليل على سوء الظن بالله عز وجل، يؤخر صاحبه، ويبعده عن صفات الأنبياء والصالحين.

وللبخل انعكاسات سلبية على جميع أفراد المجتمع، ولا يتوقف عند حدٍّ معين، وقد يؤدي بالأفراد في كثير من الأحيان إلى سلوك طرق غير شرعية لتحقيق غاياتهم وتلبية احتياجاتهم، الأمر الذي يؤدي بالنتيجة إلى تحطم العلاقة وانقطاعها بين الأفراد بتذمرهم الدائم من تصرفات الأب البخيل -على سبيل المثال- التي ترهقهم نفسيًّا واجتماعيًّا، وفقدان الثقة بين أفراد الأسرة نتيجة النقص في الإشباعات الرئيسة لديهم وبروز المشاكل الاجتماعية كالطلاق وتفكك الأسرة.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

تم بحمد الله

المحتويات

المقدمة ٤
الحديث الأول: الحث على التفكر ١١
تقوى الله وإدامة التفكر ١٢
مفهوم التقوى ١٤
التقوى على لسان المعصومين عليهم السلام ١٥
التفكر لغةً واصطلاحًا ١٧
الحث على التفكر في الآيات والأخبار ٢٠
الحث على التفكر في سياق ضرب الأمثال في آيات القران الكريم ٢٢
الحث على التفكر في سياق حوار الأنبياء مع أقوامهم في آيات القرآن الكريم ٢٣
هل التقوى هي الباعث على التفكر أو العكس؟ ٢٤
خلاصة الكلام ٣٠
الحديث الثاني: السهو والغفلة ٣١
السهو والغفلة عن الآخرة ٣٢
مفهوم السهو ٣٤
الفرق بين السهو في الشيء والسهو عنه ٣٥
السهو في الصلاة والسهو عنها ٣٦
مفهوم الغفلة ٣٧
الفرق بين السهو والغفلة ٣٧

الفرق بين الغفلة والنسيان.....٣٨
الغفلة في القرآن.....٣٨
خلاصة الكلام.....٤٧
الحديث الثالث.....٤٩
شكر النعمة وكفرانها.....٥٠
النعمة لغة واصطلاحًا.....٥١
المحنة لغة واصطلاحًا.....٥٤
مفهوم الشكر.....٥٦
نماذج من القرآن الكريم على شكر الشاكرين لأنعم الله.....٥٧
مفهوم الكفر.....٥٩
نماذج من القرآن الكريم على الكفر بأنعم الله.....٦٢
القرية التي كفرت بنعم الله.....٦٢
قارون وكفره بالنعم.....٦٢
سبأ وكفرهم بالنعم.....٦٤
خلاصة الكلام.....٦٥
الحديث الرابع.....٦٦
العفة والحرص الذميم.....٦٧
العفة لغةً واصطلاحًا.....٦٩
أنواع العفة.....٧٣
الحرص لغةً واصطلاحًا.....٧٤

أنواع الحرص..... ٧٨
الحرص على المال..... ٧٨
الحرص على الشرف..... ٧٩
وخلاصة الكلام..... ٨٢
الحديث الخامس..... ٨٣
البخل وآثاره السلبية..... ٨٤
البخل لغةً واصطلاحًا..... ٨٦
ألفاظ ذات صلة..... ٨٩
أصناف البخل وصوره..... ٩١
البخل بالمال..... ٩١
البخل بغير المال..... ٩٢
الآيات الواردة في البخل..... ٩٥
بواعث البخل..... ٩٩
بيان كون البخل جامعًا للمساوئ والعيوب..... ١٠١
بيان كون البخل قاطعًا للمودات من القلوب..... ١٠٥
خلاصة الكلام..... ١٠٦
المحتويات..... ١٠٨

صدر للمؤلف

١ـ كتاب دفاع عن الإمام الحسن عليه السلام.

٢ـ كتاب خذوا ولاية علي عليه السلام من القرآن.

٣ـ مودة أهل البيت عليهم السلام أصل قرآني وفريضة إسلامية.

٤ـ كتاب مودة أهل البيت عليهم السلام أصل قرآني وفريضة إسلامية.

٥ـ كتاب دلائل الحق، ثلاث مجوعات.

٦ـ كتاب أثر السنّة في بيان الخطاب القرآني.